425

HARLEQUIN

روايات أحلام

من هنا تشرق الشمس

جاكي براون

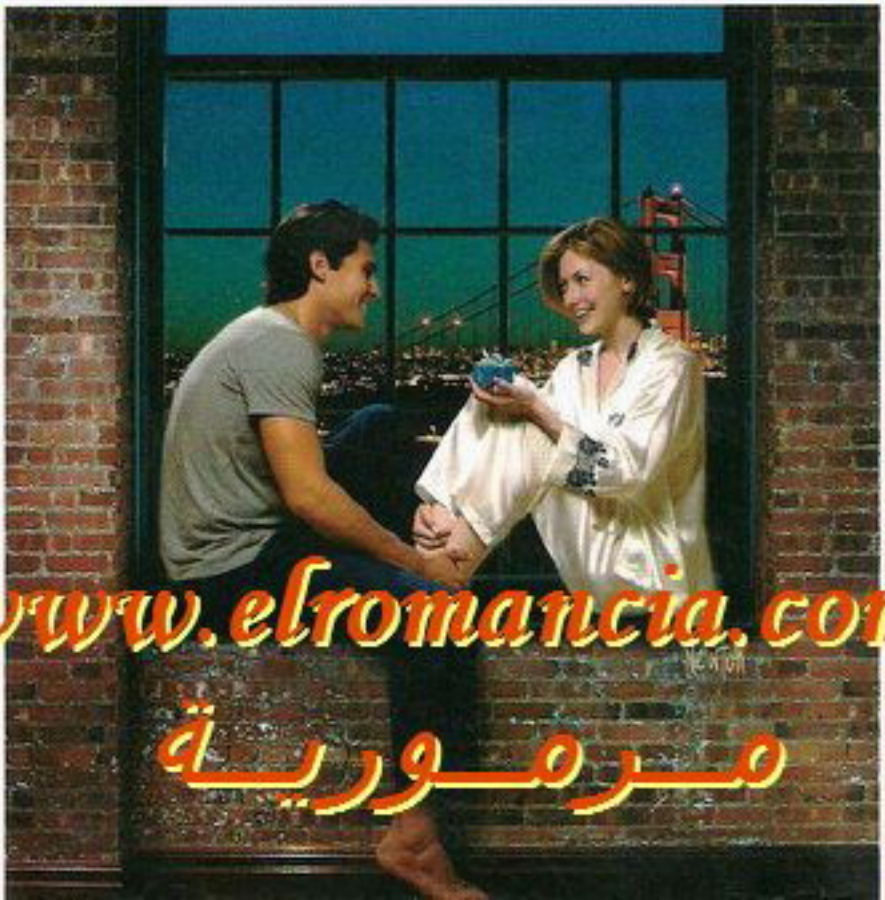

www.elromancia.com
مرمورية

من هنا تشرق الشمس

لطالما كانت أودرا كونلان امرأة لعوباً ,طائشة , تتبع نزواتها , إلى أن منحها القدر فرصة لتغيير أسلوب حياتها , هذه الحياة التى أوصلتها إلى حافة الموت .

أقسمت أنها هذه المرة سوف تتوب حقاً وتعود إلى أحضان أسرتها التى نبذتها , وسوف .. تتجنب الرجال !

... حتى لو كانوا مثل سيث ريدلي الذي يملك ابتسامة جذابة ووسامة تدعوها إلى الوقوع في حبه بقوة ودون إبطاء !!.

وجدت أودرا نفسها بين نارين : الماضي السيء الذي ما زال يلاحقها , والمستقبل الغامض مع رجل خطر مريب يتلاعب بقلبها ... فأي نار ستختار ؟ والى متى ستظل تدفع ثمن أخطاء ماضيها ؟

١ - المنقذ

أطبقت يدان ضخمتان على عنقها، وراح إبهامان قويان يضغطان بشدة على قصبتها الهوائية ليقطعا عنها الهواء.

في تلك اللحظات، انتابت مشاعر الندم أودرا بسبب الطريقة التي عاشت بها حياتها حتى الآن، ولم تعد التبريرات التي قدّمتها في ما مضى لتصرفاتها السيئة مقبولة حتى منها نفسها.

ليس الأمر عادلاً!

ترسّخت هذه الفكرة في ذهنها عندما بدأت قدرتها على الرؤية تتلاشى.

لقد غيّرت أسلوب تعاملها في الواقع... ولو بحذر. ربّما يفسّر هذا أحدث عناوين تلك الصحيفة الصغيرة التي ما زالت تصفها بالمرأة «الباحثة عن الذهب». لم يرق لأودرا هذا اللقب مع أنها لُقبت من قبل بما هو أسوأ، فهي بالرغم من كل ما قيل عنها تزوّجت بدافع الحب والحماية العاطفية. لم يكن الغنى ما جذبها إلى أي من أزواجها بمن فيهم زوجها السابق هنري دايتون وينفلد الثالث. كان هنري لطيفاً غير متطلب وأميناً أيضاً. صمّمت أودرا على إنجاح هذا الزواج بغض النظر عن الفارق في عمريهما، فقد قرّرت ألاّ تفشل هذه المرة. لن ينتهي الزواج الثالث بالفشل كالزواجين السابقين اللذين تركاها محطمة، وتركا قلبها خاوياً كقشرة ثمرة مجوّفة.

- كاذبة.. مخادعة.. استغلالية!

بصق الرجل وهو يضغط على حنجرتها.

لم تستطع أودرا مقاومة كلماته. أليس من السخرية أنها لم تكلف نفسها عناء الدفاع عن نفسها حين كان باستطاعتها ذلك؟

لم تهتم أودرا يوماً بما يقوله الناس عنها أو بما يصفونها به ما داموا يلفظون اسمها بطريقة صحيحة، فهي تعرف أن روحها طيبة على الرغم من أن قرّاء الصحيفة قد لا يوافقونها الرأي. منذ زواجها الأخير بالتحديد، بدأت تتخذ خطوات لإعادة بناء حياتها بطريقة صحيحة وتعديل أسلوب الأنانية الذي اندمجت فيه منذ قدومها إلى هوليوود. بالطبع، هي ليست الأم تيريزا، إلاّ أنها أحسّت بالكثير من الاكتفاء والرضى عن الذات حين شاركت في أعمال إحسان مخصصة للأطفال في السنوات الأخيرة. عملت بعيداً عن الأضواء كي لا يتهمها أحدهم بإفساد ما هو فاسد أصلاً، وذلك في محاولة منها لإنقاذ عملها المتراجع في مجال التمثيل.

في الوقت الذي نعتتها الصحيفة فيه بالمرأة الباحثة عن الذهب، وفيما الرجل الذي يحاول قتلها يراها كذلك أيضاً، أخذت أودرا موعداً من محاميها بعد ظهر ذلك النهار كي تعدّل وصية زوجها، فيرث ورثاؤه الشرعيون الملكية الكبيرة التي تركها خلفه.

إنها ليست بحاجة إلى المال، كما أنها ليست طامعة بالمزيد منه. لقد جنت ثروة لا بأس بها بفضل بعض الاستثمارات الذكية، إلاّ أنها ما زالت تتفهم نظرة الناس إليها. أولئك الذين لا يعرفونها، والذين يقرأون عنها في الصحف الصغيرة فحسب، والذين يعتقدون أنها تستحق الرجم بالحجارة.

ما إن أوشكت أودرا على فقدان وعيها، تراءت لها السنوات الثلاثون الماضية كأنها فيلم تلفزيوني رديء. بدا هذا الأمر مزعجاً لكنه في محله، فهي لم تتمكن من صنع اسم لنفسها في هوليوود، على الأقل ليس اسماً يتردد في أوساط الطبقة الراقية.

لطالما سبّبت لنفسها الكثير من المشاكل وأوجاع الرأس والمرارة والحنق. اعترفت لنفسها بذلك بصدق في اللحظة التي شعرت فيها

أنها على شفير الموت، فهذا بالضبط هو الوضع الذي وجدت نفسها فيه في تلك اللحظة. لقد وصلت إلى أبعد حدود ممكنة ما جعلها تتعرض للازدراء والإهانة المطلقة.

من جهة أخرى، شعرت أنه كانت لديها أسباب وجيهة لتكون طفلة شرسة ومراهقة عصبية، ثم راشدة تعيش بطريقة معينة تجعلها مادّة دسمة لتلك الصحيفة الأسبوعية. مؤخراً لم تعد هذه الأسباب تهمّها مطلقاً، ربّما لأنها أدركت أخيراً أنها لن تعفيها من المسؤولية أو توصلها إلى نهايات سعيدة.

يحصد المرء ما يزرع! لطالما سمعت أودرا هذه المقولة خلال فترات نموها. مع ذلك، تطلّب الأمر منها وقتاً طويلاً لتفهم حقيقة هذه الكلمات البسيطة وتتقبّلها. فات الأوان الآن لتكمل عملية التغيير التي بدأت بها.

يقال إنّ المرء يسير بقدميه إلى حتفه، وها هو جلادها الآن يمسك عنقها بيديه، وقبضته تشتد مع مرور كل دقيقة.

اشتد الضغط على عنقها أكثر... فأكثر.

آه! لا أريد أن أموت!

على الرغم من ترسخ هذه الفكرة المرعبة في رأسها، فقد تحضّرت للأمر المحتوم، وراحت تطلب السماح من الله الذي تعرّفت عليه منذ فترة ليست بعيدة. تمنّت أن يسامحها كل الناس الذين أخطأت بحقهم على مرّ السنين، وعلى رأسهم أختها.

أنا آسفة جداً!

لمعت الكلمات في رأسها، ولم تقدر إلاّ أن تمرّرها على شفتيها اللاهثتين. استسلمت للسواد المحيط بعينيها، وعرفت أن اعتذارها جاء متأخراً جداً، تماماً كما هو طلبها لاحترام ذاتها.

* * *

من خلال العدسة المقربة لآلة التصوير الرقمية، رأى سيث ريدلي المرأة الشقراء تفتح الباب لابن زوجها.

يا لها من مفاجأة! إنهما من العمر نفسه تقريباً. لكن على كل حال، أودرا كونلان هوارد ستوفر وينفلد ليست من الأشخاص الذين يراعون الأعراف والتقاليد.

قليلات هنّ النساء اللواتي يستطعن تحمّل انتعال حذاء ذي كعبين أحمرين مستدقي الرأسين يبلغ ارتفاعهما أربع إنشات، أما هي فاستطاعت تحمّل ذلك بمقدرة كبيرة. ابتلع ريقه بصعوبة. التفسير البسيط لقصر تنورتها التي تصل إلى أعلى ساقيها هو أن تبقي خيال الرجل مشغولاً بها وشوقه إليها في أوجه. كانت ترتدي قميصاً بيضاء رغم أنها أبعد ما تكون عن البراءة، وهي منخفضة عند الرقبة، توحي بأكثر مما تظهر.

بدت أودرا غاية في الجاذبية، فلم يستطع منع نفسه من إطلاق صفير بصوت منخفض وهو يأخذ لها بضع لقطات. تبدو بعض النساء رخيصات بثياب كهذه، لكن سيث أدرك منذ أن بدأ يلتقط لها الصور قبل سنوات أن المرأة التي لقبّتها الصحف بأودي المشاغبة ليست رخيصة أو سهلة.

أودرا امرأة ذكية، مجتهدة وذات تفكير عميق. هذا ما أظهره زواجها الثالث من هنري دايتون وينفلد، رجل الأعمال القوي الستيني، الذي جاءت وفاته فجأة من دون توقع بكل المقاييس.

أودرا جميلة جداً... بل هي ذات جمال مذهل.

تخلّص سيث من انشغاله بالنظر إلى أودرا، وقد أزعجه ذلك الشعور القوي بالانجذاب نحوها، والذي يصيبه دائماً حين يراها. عليه أن يقوم بعمله وينجز مهمته بنجاح، لهذا السبب فقط هو يجثم منتظراً خارج منزلها وآلة التصوير بيده.

الصور تخبر القصّة!

لطالما آمن سيث بهذا، فصور أودرا تخبر عن حياة زاخرة على الرغم من أنها بدت في الآونة الأخيرة واهنة ومتعبة. تعلّمت هذه النجمة الشهيرة التي لا يرغب سيث بتسميتها ممثلة كيفية التعامل مع ملاحقة

المصورين لها، حيث سادت روح الرّفقة الطيبة بينها وبينهم بطريقة متناغمة وتوقيت مثالي. على الرغم من أن سيث كان يقف دائماً خلف حشود المصورين مع قبعة ملتصقة بجبينه، لكنه اضطر إلى الاعتراف بمهارة أودرا، فهي تعرف كيف تنظر وكيف تقف. كان هدفه بالطبع أن يلتقط لها صوراً حين لا تكون مبتسمة أو مستعدة في وضعية محدّدة. لم يكن يريد التقاط صور تمثل فيها بطريقتها المحببة الرائعة، بل يريد صوراً عفوية.. كهذه الصور الآن...

التقط سيث بضع صور للقاء السري بين أودرا وهنري الرابع، شعر كأنه متلصص مسترقاً النظر إليهما. بالطبع، سبق أن أطلقت عليه ألقاب أسوأ من هذا، لاسيّما أنه بات أحد الذين يلاحقون المشاهير. عندما غيّر سيث مهنته من مصوّر صحفي جدّي إلى مصور في صحيفة صغيرة أحسّ بالقرف من نفسه، حتى إن ذلك أوجعه بالمعنى الحرفي للكلمة. أما الآن فقد هدأ من روع نفسه، وطمأنها إلى أنه ليس من هؤلاء على الإطلاق.

يملك سيث أسباباً وجيهة تدفعه كي يفعل ما يفعله، تفوق بكثير الأسباب المادية. إنها أسباب شخصية رفعت من دون شك مهنته الجديدة إلى مستوى مهنة سامية. وصف أحد المحررين في صحيفة يبيع لها سيث الصور التي يلتقطها، ملاحقته الفظة لأودرا بأنها حملة تدمير. أحبّ سيث هذه التسمية، فهو مستعد إلى التضحية بأي شيء... بكل شيء ليتخلص من الألم الذي عاشه في العامين الماضيين، وليمحو السبب المدمّر الذي دعاه إلى القيام بما يقوم به.

في الواقع، كان الأسى مشجعه الفعال ودافعه الأقوى. رفض سيث التصديق بأن ما يفعله هو في الحقيقة أمر جائر.

يا له من محظوظ! لقد تركت أودرا ستائر غرفة الجلوس مفتوحة. ومع إضاءة المصابيح وتوقّد النار المتوهجة في الموقد، بدا المنظر دافئاً خصوصاً أن الليل دامس في الخارج. بدا التصوير سهلاً بفضل العدسة الفعالة لآلة التصوير المتطورة من ماركة نايكون.

لا شك أنّ أرملة الأشهر الستة الحزينة تلتقي ابن زوجها للحصول على أجواء من الراحة والتعاطف. قدر سيث أن الحديث الذي سيدور بينهما سيكون مفعماً بالتنهدات والأنين، وبالرغم من أنه وجد المسألة بلا معنى إلا أنه قرّر أن يسجّلها.

عقد سيث اتفاقاً مع صحيفة لوسيفر، على الرغم من أن الاسم الأبرز في هذا النوع من الأخبار هو ديك ويلينغ، وهو محرر صحيفة فنية اشتهر باستعماله لمصادر غير موثوقة وأخبار غير مؤكدة في مقالاته اللاذعة. ولأن من يدور حولهم الخبر يجدون من الصعب أن يبرهنوا ما إذا كان ديك يكذب أو ينشر بهدف نشر الإشاعات فقط، فقلّما كانوا ينفذون تهديداتهم برفع قضايا عليه.

لا شك أن ويلينغ يجني أرباحاً طائلة على حساب مصائب الآخرين، وهو نشيط جداً في مجال عمله، كما أنه يعمل في الوقت عينه على كتاب شامل عن نجوم هوليوود تكون فيه أودرا شخصية بارزة. وعد سيث ويلينغ بالتقاط صور جريئة تتماشى ونصه الجريء، كما وعده بالحصول على معلومات دسِمة عن أودرا ليزوده بها. توقع سيث أن يثير الكتاب ضجة كبرى، إذ إنه سيركز على حياة أودرا الطائشة، ما سيجعله مادّة دسمة متداولة لفترة أطول ممّا يحصل بالنسبة لغلاف صحيفة فنية.

هذا العمل سيكون بمثابة رصاصة الرحمة بالنسبة لسيث، فهو سيحرره من الغضب الموجع الذي استنفد كل قواه في السنتين الماضيتين. حينئذٍ، يمكنه التخلّص من مهنته كمصور يلاحق المشاهير، فيتخلص من اسمه المستعار، سكوت سميثفلد... عندئذٍ فقط يمكنه التحرر من الماضي.

ركز سيث عينه على آلة التصوير، ولاحظ أن أودرا تحرّكت فجأة، ثم ابتعدت عن ضيفها.

كليك.. كلي..، كليك.

أتدعين الحياء الآن، أودرا؟ لم يبدُ الأمر على ما يرام. تقدّم هنري الرابع بخطاه، ذلك الرجل الضخم الذي يبلغ من العمر ثلاثة وثلاثين

عاماً لم يردعه شيء على الإطلاق. تقدّم أكثر.. فأكثر..

كليك.. كليك.. كليك.

تفقد سيث فتحة آلة التصوير مجدداً وانتظر الوقت المناسب ليأخذ اللقطة التي يريدها. تلك التي تبرز طبيعة أودرا المخادعة بوضوح.

رفع ابن زوجها يده.

كليك، كليك، كليك.

ظهر هنري وهو يداعب عنق أودرا، فوق العقد الماسي الذي يطوق ذلك العنق تماماً. اضطربت معدة سيث.

لا تسمحي له بلمسك! لم يعرف سيث من أين أتت هذه الفكرة، وسرعان ما رأى الرجل يتنشل العقد وينثر حباته في أنحاء الغرفة. فكر سيث أن هذا العقد هو هدية من زوجها.

تمتم لنفسه: «أجل، يا صاح! لا أريد تذكاراً من أبي المتوفي في وقت كهذا».

وما لبث أن دفع المشاعر الغريبة التي اجتاحته بعيداً. تلك المشاعر التي تجعله يرغب بأن تطرد أودرا ضيفها قبل أن يتطور الأمر بينهما.

تذكر سيث أنه لن يحصل على ما جاء لأجله إذا ما فكر بهذه الطريقة، فحمل آلة التصوير بثبات وضغط بسبابته على الزر.

كليك.. كليك.. كليك.

ما زال ابن زوجها يتقدّم نحوها بخطوات ثابتة، بينما تراجعت أودرا تدريجياً. أطلق سيث شتيمة في سرّه وانحنى إلى جهة واحدة متوسلاً أودرا في قرارة نفسه: «لا تتحركي خارج الإطار! لا تتحركي خارج الإطار».

شعر بالارتياح والاضطراب معاً حين أدرك أن أودرا استندت إلى الحائط.

همس لنفسه: «ليس لديكِ مهرب آخر».

أحياناً يخالجه هذا الشعور نفسه.

نظر سيث إلى وجهها من خلال عدسة آلة التصوير المكبّرة. بدت أودرا صفراء البشرة، خائفة. فكر أن حالتها تثير القلق فعلاً، وحين نقل نظره إلى خصمها الفظ، اعتقد سيث أن ما تشعر به أودرا هو الامتعاض على الأرجح. مثل أبيه تماماً، كان حساب الابن في البنك الصفة الأكثر جاذبية الذي يتمتع بها.

كليك.. كليك.. كليك.

عرف سيث تلقائياً أن اللقطة الآتية ستتكفل بسرد القصة كلها، فكما يقال: الصورة تغني عن ألف كلمة. لكنه لم يلتقطها، مع أنه محق تماماً.

ربما سيفكر بالأمر لاحقاً، لكن حين أدرك أن ابن الزوج يخنق الأرملة وينفلد حتى الموت، تحرّك على الفور بدافع غريزة داخلية وحاجة طبيعية أجبرته على الدفاع عنها.

أبعد سيث آلة التصوير من طريقه غير مبالٍ بقيمة الأضرار التي ستلحق بها أو بكلفة عدستها المقرّبة القيّمة، وانطلق كالسهم من مخبئه السريّ خلف شجيرات العوسج، متوجهاً إلى المدخل المؤدي إلى منزل وينفلد برنتوود الرائع. الحمد لله، إن البوابات الحديدية الضخمة لم تقفل بعد دخول ضيف أودرا. بدا طول الممر لسيث لا متناهياً وهو يسابق الوقت ليصل إليها.. إلى المرأة الوحيدة التي عاهد نفسه على تدميرها. اندفع نحو الباب المقفل بكل ما أوتي من قوة، محوّلاً الخشب إلى شظايا متناثرة. أصيبت كتفه بالرضوض بالطبع، إلا أنه لم يشعر بالألم ولم يجفل حتى. استدار سيث بسرعة إلى الجهة اليسرى للمنزل، رافعاً يده في قبضة، ودخل إلى غرفة الجلوس كالصاروخ المندفع.

- ماذا...؟

كانت هذه الكلمة الوحيدة التي نطق بها هنري الرابع قبل أن يضربه سيث على فكّه. وقع هنري على الأرض واصطدم رأسه مرتين بالخشب الصلب اللامع، فأصدر صوتاً مكتوماً يفيض بالألم، قبل أن يستلقي مغشياً عليه من دون أي حركة إلى جانب المرأة التي حاول أن يخنقها

حتى الموت.

منظر أودرا جعل دم سيث يجري بارداً. بدت جامدة تماماً كما لو أنها فقدت الحياة. لم يكن لديه مانع من قبل في أن يجتاح خصوصيتها ويحاول أن يعرّض كل تفصيل مخزٍ في حياتها إلى التفحّص والتحقير العلني، لكنه لم يتمنّ موتها مطلقاً.

إنه لا يستطيع الانتقام من امرأة ميتة!

من الغرابة أن الانتقام لم يكن ما يفكر به حين جثم إلى جانب جسدها ووضع طرفي سبابته وإصبعه الوسطى تحت فكّها. تحت إصبعيه تماماً، ظهرت الرضوض الحمراء والأرجوانية التي شكلت طوقاً قاتلاً حول عنقها.

عندما أحسّ سيث بنبض أودرا الضعيف، زفر أنفاسه بارتياح ومال إلى الأمام حتى جثا على ركبتيه. لاحظ بسخرية أن وضعيته هذه أشبه بوضعية شخص يصلي. استرجع في ذاكرته الوقت الذي مضى بالضبط منذ أن توسّل وصلّى، وكانت النتائج أقل من مرضية.

همهم سيث: «يبدو أنها ستنجو».

سبق له أن رآها عن كثب في المئات من المناسبات، لكن هذه هي المرة الأولى التي يلمسها فيها. أزاح شعرها الأشقر الطويل عن وجهها، محاولاً ألا يلاحظ أنه ناعم كالحرير.

أخيراً استطاع أن يسحب الهاتف الخلوي المثبت بحزام سرواله الجينز وطلب الرقم ٩١١. بعد وقت بدا له أنه لن ينتهي، سمع سيث الإجابة.

- ما هي حالتك الطارئة؟

- خُنقت امرأة إلى حدّ الموت تقريباً، وهي تحتاج إلى نقّالة.

- هل هي واعية؟

رفّت جفون أودرا مرّتين فانفتحت عن بعضها إلى مستوى معين، ورأى سيث من خلالها بؤبؤي عينيها المتسعين، لكنه شكّ في أن

تكون بحالة جيّدة.

- لا، لكنها تتنفس بمفردها. ويبدو أن الشخص الذي هجم عليها يحتاج إلى عناية طبية أيضاً.

أضاف سيث هذه العبارة بعد أن ألقى نظرة باتجاه الرجل المستلقي على الأرض. كان هنري الرابع لا يزال جامداً بلا حراك. أكمل سيث: «آه! ضرب رأسه حين سحبته عنها».

- هل تستطيع البقاء معها إلى حين وصولنا؟

لم يجب سيث عن ذلك السؤال مباشرة، فهو لا يريد أن يتورّط في مسألة كهذه، لا سيّما مع هذه المرأة التي يعتبرها امرأة تافهة، مع أن الأقدار جمعته بها بطريقة ما. تشابكت خيوط حياته بخيوط حياة أودرا منذ سنتين... منذ بعد ظهر ذلك اليوم، حين لاقت عائلة من الطبقة الوسطى حتفها في حادث سيارة بالقرب من بيغ سور. كانت هذه عائلة سيث! توفيت أخته الصغرى وزوج أمه على الفور، فيما بقيت أمه تصارع الموت لشهرين قبل أن تستسلم متأثرة بالجروح الداخلية التي أصابت رأسها. أما المرأة التي حمّلها سيث يومها مسؤولية ذلك الحادث فهي نفسها المرأة التي يكافح الآن لإنقاذ حياتها. سمع السؤال نفسه ثانية من الجهة الأخرى على الخط، فأجاب سيث: «نعم.. سأبقى معها».

بعدئذٍ أجاب سيث عن أسئلة أخرى، وأعطى العنوان للرجل بعد أن وافق على البقاء حيث هو حين أخبره المتكلم أن الشرطة وهيئة الطوارىء الطبيّة في طريقهما إليهم. وضع الهاتف جانباً وجلس متربعاً على الأرض، منتظراً، وهو يراقب أودرا. حسناً فعل حين قرر أن ينقذ هذه المرأة!

تحرّكت أودرا وأصدرت شهقة صغيرة. فتحت جفنيها على اتساعهما، وظهرت بقايا الخوف واضحة على حدقتي عينيها الزرقاوين المذعورتين. لطالما تساءل سيث ما إذا كان لون عيني أودرا ناتجاً عن

العدسات اللاصقة، أما الآن وقد رآها عن قرب فهو لا يظن ذلك.

حدّقت أودرا بسيث لمدة طويلة، وكافحت بصعوبة لتتراجع إلى الخلف حين مال سيث نحوها مقترباً منها.

- لا!

حاولت أودرا أن تصرخ، لكن خرجت صرختها كهمسة خافتة.

لشدّة خوفها، رفعت يدها لتضرب سيث. فتصدّى هذا الأخير بسهولة لمحاولتها الضعيفة، وأثناء ذلك أصبح الجزء العلوي من جسدها في حضنه تقريباً.

- لا أريد إيذاءك.

أحسّ سيث بأن الكلمات تسخر منه، فحاول ثانية: «أنت بأمان الآن».

لم يدرِ سيث إن كانت أودرا قد اقتنعت من كلامه أم أنها كانت متعبة للغاية لتقاوم، إذ ما لبثت أن ألقت رأسها على ذراعه وعادت إلى غيبوبتها من جديد. تفحص سيث اليد التي ما زال يمسكها، فلاحظ خاتم الماس الكبير الذي يزين إصبعها، والذي يعكس اللهيب المتراقص فرحاً في الموقد، أما بشرتها فبدت باردة ومائلة إلى اللون الأزرق. شبك أصابعه بأصابعها من دون تفكير، وأدرك حينها أن أودرا التي تبدو قوية في الحياة، هي في الحقيقة امرأة رقيقة سريعة العطب.

في تلك اللحظات وفيما هو يتأملها عن كثب، اكتشف سيث أسراراً لم تكشفها له آلة التصوير قط، مثل ندبة ظريفة على شكل هلال على صدغها الأيسر بالإضافة إلى شامة صغيرة يميل لونها إلى البني في أسفل ذقنها. شوائب صغيرة جداً جعلتها تبدو أكثر ضعفاً، وأكثر قرباً إلى طبيعتها البشرية.

أزال سيث عن وجهه قناع الانتقام العظيم، وبدا ذلك مريحاً تماماً له.

تناهى صوت صفّارات الإنذار إلى مسمعه من بعيد، وما لبث أن ارتفع أكثر بينما بدأ رجال المهمات الطارئة يتسارعون نحو ڤيلا وينفلد. أهو

انعكاس الضوء على جفنيها أم أن جفنيها يرفّان مجدداً؟

– هل تسمعين هذا؟ كادت المساعدة تصل.

في هذه الأثناء انتظمت أنفاس أودرا الضعيفة، حتى تباطأت واستقرت مجدّداً.

تمتم سيث: «لم أشك قط في أنك ستنجين».

أما الشعور الذي انتابه فهو أبعد ما يكون عن المرارة. ما شعر به سيث في تلك اللحظة هو الانجذاب. فليساعده الله! هذا ما شعر به منذ المرة الأولى التي التقط لها صوراً قبل ستتين.

لم يكن في الغرفة شخص سواه بكامل وعيه ليحقق مع سيث لاحقاً، أو ليذكره بما يفعله، فاستسلم لرائحة عطرها الساحرة، ولذلك الاحساس بالحماية الذي لم يشأ أن يحسّ به. أحنى سيث رأسه وتنشق بعمق، وقبل أن يستوعب كلياً ما يفعله، مرّر شفتيه بسرعة فوق الندبة التي تعلو صدغها.

٢ ـ ستدفعين الثمن

بعد أن سمح الطبيب لأودرا بمغادرة المستشفى، وقفت تنتظر سائقها في رواق المستشفى. ظللت عينيها نظارتان شمسيتان داكنتان، وغطى شعرها البلاتيني المميّز وشاح حريري طويل، التف طرفاه من دون شد محكم حول عنقها بهدف إخفاء الرضوض. عرفت أودرا أنها لن تخدع أحداً. على الأقل هي لم تخدع نفسها، حين اشترت الوشاح للتخفي خلفه في المستشفى.

كانت الصحف الصباحية ممتلئة بأخبار الاعتداء الذي تعرضت له ودوافعه. ترك زوجها السابق كل شيء تقريباً لعروسه الشابة التي لم يمض على زواجه بها عام واحد، ولم يترك شيئاً لابنه. لا بد أن الذين سيقرأون المقالات سيتعاطفون مع هنري دايتون وينفلد الرابع، الذي وضعت زوجته منذ وقت قصير مولودها هنري دايتون وينفلد الخامس أكثر مما سيتعاطفون مع أودرا، المرأة التي تزوجت ثلاث مرات، واضعين جانباً محاولة القتل التي تعرضت لها مؤخراً.

دفعت أودرا نظارتيها لتثبتهما أكثر على أعلى أنفها، وساورتها ارتعاشة من الخوف. لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء... بل عدداً لا يحصى منها، وهي ليست واثقة من أنها تستحق الفرصة الثانية التي أعطيت لها، لكنّها نوت أن تستفيد منها بقدر ما تستطيع.

أفكار جديدة لامرأة جديدة، كما يقال!

بعد أن استعادت أودرا وعيها كلياً، تعهّدت إلى الله بأنها ستغير نمط حياتها. لن تتابع السير بخطواتها الطائشة لترميم حياتها. سوف تتحلى

بالروح الحماسية التي يتحلى بها ممارسو القفز الطويل كي تصل إلى أهدافها. قررت أن تتوقف عن التدخين كخطوة أولى باتجاه التحسن. بما أنها منعت من التدخين في المستشفى وجدت نفسها الآن تائقة لتدخين سيجارة. هذا الشوق الرهيب للتدخين جعلها تقضم ظفر إبهامها. الادمان على النيكوتين! افترضت أودرا أنه مثل إضافي لاستهتارها المدمّر الذي اتبعته في حياتها خلال العقد السابق. في الليلة الماضية، حين طافت في المنطقة الضبابية الواقعة بين عالمنا هذا والعالم الآخر، أحسّت لفترة ما أنها رأت ملاكاً. سبب هذا لها صدمة، لأنها تصوّرت أنها ستهبط بقوة إلى العالم السفلي بعد الموت. لم تستطع تذكر ملامح الملاك، كل ما تذكره هو أنه أشقر الشعر، وأنه يشبه الأبطال. حضر هذا الملاك إلى منزلها وأنقذها من قبضة ابن زوجها المجرمة.

فقدان أودرا للأوكسيجين أثّر سلبياً على عقلها، إذ إنّها لا تذكر أنها اتخذت ذراعه كوسادة لها، إلا أنها شعرت بالأمان في تلك اللحظات، وبأنها محميّة تماماً، كما اختبرت شعوراً أشبه بالحنين حين انجرفت إلى حدود اللاوعي، ويمكنها أن تقسم أن ذلك الملاك... الرجل أحنى رأسه، وقبّلها قبلة ناعمة على صدغها.

عبست أودرا... لا بد أنها تتخيل هذا الأمر. لم يقبّلها أحد بمثل هذه العذوبة منذ سنين طويلة. بالطبع، ما كان ملاكها الحارس ليفعل هذا. لقد أخبروها أن اسم الرجل الذي أنقذها سكوت سميثفيلد.

سميثفيلد! بدا الأمر لأودرا غير مفهوم. أيعقل أن يكون بطلها الجبّار والمصوّر الخفي المتواجد في كل مكان شخصاً واحداً؟

على الرغم من أن أودرا لن تتمكن من التعرف على ذلك الرجل من بين مجموعة. إلاّ أنها تعرف أن سميثفيلد التقط لها عدداً كبيراً من الصور غير اللائقة خلال السنتين الماضيتين. عليها الاعتراف بأن صوره عالية الجودة بالرغم من تصميمه على إبرازها كامرأة مستهترة عديمة القيمة،

لكنها لم تكترث يوماً لما دار حولها من أقاويل. ما الغرض من التصرف بطريقة فاضحة في العلن إن لم يكن الاستحواذ على الإعلان المجاني، لإبقاء اسمها ساطعاً؟ لكن عمل سميثفيلد لا يعرض للفضيحة فحسب، بل يسعى إلى التدمير أيضاً. نجح هذا الرجل من خلال صوره في جعلها أضحوكة بين ممثلي هوليوود القديرين ومتتبعي أخبار المشاهير.

لفترة طويلة ألقت اللوم عليه لأن مهنتها أصبحت في الحضيض، لكنها تعترف الآن بأنها هي المسؤولة الوحيدة عن هذا التراجع.

نظرت أودرا إلى الباحة المكتظة بالمصورين الذين ينتظرون خروجها، أمعنت النظر في الحشد، وتساءلت ما إذا كان سميثفيلد موجوداً بينهم. بدا الجميع متشابهين وهم يحملون آلات التصوير السوداء الضخمة. يا إلهي! هي لا تشعر برغبة في رؤية أي منهم هذا الصباح، لكنها ملزمة بذلك. كان سائق الليموزين العملاقة قد استدار بسيارته على مهل حول الطريق العام الدائري للمستشفى، ثم أوقفها مباشرة أمامها.

- هل أنتِ جاهزة، سيدة وينفلد؟

سألها الممرض وهو رجل ضخم الجسم ذو صدر عريض، وقد بدا أشبه بحارس شخصي منه بعامل للعناية الصحية. لكن هذا لم يضايقها بشيء، لأنها تصوّرت أنها تحتاج إلى حارسٍ شخصي في هذه الأوقات.

- جاهزة.

خرجت الكلمة متقطعة غير مفهومة من فم أودرا، فأومأت برأسها إيجاباً. ثم استقامت في جلوسها في الكرسي ذي العجلات، ورفعت كتفيها حين فتحت الأبواب بصورة آلية لها.

أبقت نظرها مركزاً على الليموزين والباب الخلفي الذي حرص سائقها نايجل على إبقائه مفتوحاً. تعالت أصوات المصورين والصحفيين مرددة اسمها، كما لو أنها تسير بخطوات واسعة على السجادة الحمراء في ليلة توزيع جوائز الأوسكار. لقد مُنع هؤلاء من

الدخول من قِبَل حرّاس المستشفى، وهذا هو السبب الرئيسي الذي أعاق طريقهم في الوصول إليها.

- أودرا.. أودرا.. انظري إلى هذه الناحية.

- هنا، أودرا.

- استديري إلى اليمين.. رائعة.

- انزعي وشاحك.

- أظهري عنقك.

قبل حصول هذه الحادثة، كانت أودرا جاهزة دوماً لإبقاء عنقها مرفوعاً أمام عدسات آلات التصوير، بل هي أكثر استعداداً لأن تقف بطريقة مثيرة، أما اليوم فوقفت بلا مبالاة. حين وصلت إلى الليموزين دخلت إليها، ثم أقفلت الباب وغرقت بين الوسادات الصغيرة على مقعدها. قالت لنفسها: «لم أعد تلك المرأة التي تعرفونها».

سأل سائقها: «إلى أين، سيدة وينفلد؟».

نجحت في أن تتمتم بصوت مبحوح بعد بضع محاولات: «إلى المنزل».

فيما أخذت الليموزين الطريق المألوف باتجاه منطقة برينتوود، اجتاحتها موجة من الشعور بالوحدة. فكرت أن هذا المنزل ليس من حقها في الواقع! أشار ابنه إلى هذه النقطة بكلمات فظة في الليلة السابقة، وما لبث أن أمسكها من عنقها محاولاً خنقها.

همست أودرا الآن: «لم أكن أريد أن أحتفظ بالمنزل».

ما زالت لا ترغب في الاحتفاظ به أو بأي شيء يخصّ هنري، إلا أنها فكّرت أن الرجل الذي حاول قتلها لا يستحقه أيضاً.

- لا أريد البقاء هنا.

علا صوت أودرا عما كان عليه من قبل بينما وصلت الليموزين إلى الطريق الذي تحيط به صفوف من الأشجار. سألها نايجل بتهذيب: «إلى أين تريدين الذهاب سيدتي؟».

خطرت في بالها جزيرة ترليوم. إنها لا تحتاج إلى دعوة مسبقة للذهاب إلى هناك. غادرت أودرا الجزيرة منذ عشر سنوات وتزوّجت ثلاث مرّات، لكنها أدركت الآن أن بقعة الأرض الصغيرة تلك، المستلقية في الزاوية الشمالية الشرقية لبحيرة ميشيغان هي المكان الوحيد الذي تليق به تسمية «الديار».

كان الفصل ربيعاً في ميشيغان، ما يعني أنّ الطقس إمّا قارس البرودة أو دافىء إلى حدّ الاستغناء عن المعطف. لا بد أن زهرة الترليوم متفتحة في هذا الوقت على الجزيرة التي حملت اسمها. لطالما أحبّت أودرا هذه الزهرة وأوراقها البيضاء الثلاث التي تذكر المواطنين المنهكين أنّ الصيف أصبح على الأبواب.

حين غادرت أودرا الجزيرة في عمر العشرين، أحرقت الجسر وراءها كما يقال. لم تنوِ الرجوع إلى هناك مطلقاً. يومها أقنعت نفسها بأنها تترك المكان لأنها تتوق إلى الحماس ولأنها تريد العيش في مدينة كبيرة مزدحمة. أمّا الآن، فهي تدرك أنها لم تغادر ترليوم بقدر ما هربت منها، مطاردة بالشياطين. تلك الشياطين التي أدركت حديثاً أنها سممت حياتها فقررت طردها منها. شياطين ما زالت تملؤها بالعار والخجل حتى بعد مرور هذه السنوات. لكنها عزمت على عدم السماح لهذه الأحداث بالوقوف في طريقها بعد الآن والتأثير على حياتها، لا سيما حياتها العاطفية.

بالطبع، لم يكن الماضي هو السبب الوحيد الذي دفعها للهرب من ترليوم. اعترفت أودرا لنفسها أنها سعت إلى الشهرة والثروة لتبرهن لكلّ قاطني الجزيرة الذين باعوها فجأة أنها ذكية بكلّ ما للكلمة من معنى، وأنها تمتلك التصميم والموهبة، تماماً كأختها التوأم المثالية التقليدية.

عندما فكّرت أودرا بأختها، اتخذت قرارها: حان الوقت للرجوع وللتصدي لماضيها. حان الوقت لأودرا كونلان الجديدة ذات الأفكار الجديدة كي تصالح كل من أخطأت بحقهم.

ستبدأ بآلي، التي استحقت الاعتذار والتفسير منذ أكثر من عشر سنوات.

همست أودرا: «لا تطفىء المحرك، من فضلك. لن أتأخر.. سأرمي ثيابي في بعض الحقائب فحسب».

سألها نايجل: «هل أنت ذاهبة في رحلة ما، سيدة وينفلد؟».

نايجل أكبر سناً من أبيها، وقد وظّفه زوجها السابق منذ أكثر من عقدين. وعلى الرغم من أنها متأكدة من أن رأيه فيها ليس رأياً جيداً، فهذا لم يظهر في تعابيره اللطيفة على الإطلاق.

أظهرت أودرا له أول ابتسامة حقيقية تظهر على شفتيها منذ وقت طويل.

- ليست رحلة نايجل، بل أنا ذاهبة إلى المنزل.

* * *

قارب الوقت منتصف الليل تقريباً لكن سيث لم يكن نائماً، كما أنه لم يكن يحسّ بالجوع. أزاح جانباً قطعة اللحم التي أكل نصفها تقريباً، والتي اشتراها من مكان قريب عند آخر الشارع. ألقى نظرة سريعة على الجرائد المسائية، ومن بينها الصحف الصغيرة وتلك الصحف الأكثر جدية المنتشرة على طاولة القهوة في شقته، وأخذ جرعة كبيرة من فنجان قهوته.

سيث، أو بالأحرى المصور الذي ينتحل اسم سكوت سميثفيلد، لم يأخذ أياً من اللقطات الكثيرة التي أخذت لأودرا وهي خارجة من المستشفى، أو حين وصلت إلى مطار لوس أنجلس في وقت لاحق، وركبت الطائرة النفاثة الخاصة بزوجها المتوفي.

علّق أحد محرّري الصحيفة هازئاً: «كانت السيدة وينفلد السابقة تقريباً على موعد مع طائرتها اليوم».

أطلقت تكهنات كثيرة حولها، ذلك أن أحداً لم يكن متأكداً من مكان توجّهها بطائرتها التي توقفت في عدة محطات قبل الرجوع إلى كاليفورنيا

من دون أن تكون على متنها. خمّن بعضهم أنها في ميشيغان، في ضواحي ديترويت الغنية التي ذكر في سيرتها الذاتية الرسمية أنها ديارها الأصلية.

لكن سيث خالفهم الرأي. من خلال بحثه الدقيق، اكتشف أن أودرا في الحقيقة هي مواطنة من جزيرة صغيرة بعيدة عن أرض ميشيغان الشمالية. باستطاعته أن يراهن على آلة التصوير الثمينة نايكون وكل عدسة أخيرة يملكها أنها ذهبت إلى ديارها. في الواقع، أليست الديار الأصلية هي المكان الذي يلجأ إليه الناس حين يريدون أن يتعافوا من جراحهم وخيبات آمالهم؟

في الصور التي التقطت لها، ظهرت أودرا وهي تضع نظارتين داكنتين وترتدي الملابس المثيرة ذاتها التي كانت ترتديها في الليلة السابقة، لكنها لم تلوّح لآلات التصوير أو تظهر ابتسامتها العريضة أو حتى تعير اهتمامها إلى مجموعة المصورين. لم يكن هذا بالطبع من عاداتها، لكن ربما من الصعب عليها أن تتمايل بدلال وهي على كرسي نقّال. من جهة أخرى فإن تجربة الإشراف على الموت تصيب الأشخاص باليأس، وأودرا ليست حالة استثنائية مطلقاً.

«هجوم يخضع الفتاة اللاهية المتوهجة» حملت إحدى الصور هذا العنوان. إن أمثال أودرا لا يتغيرون، ولِمَ سيفعلون؟ لا أحد يتوقع منهم هذا، ولا أحد يطلبه. يعرف سيث جيّداً أن القوانين التي يلتزم بها معظم الناس لا تنطبق على المشاهير، لا سيما على شخص مثل أودرا الشهيرة بسمعتها السيئة. إن أمثالها يفعلون ما يرغبون به من دون أن يضطروا إلى دفع حسابات عن أفعالهم.

لم تسدد أودرا حساباتها بالتأكيد! بان الغضب والمرارة على وجه سيث مجدداً، فضرب عرض الحائط مشاعر الرأفة التي أحسّها تجاه أودرا في الليلة السابقة. بينما كان سيث مشغولاً بدفن زوج أمه وأخته غير الشقيقة، وساهراً بجانب سرير أمه، رأى محامي أودرا الذي يتقاضى أجراً مرتفعاً بلا شك أنها غير مسؤولة عن الحادث، على

الرغم من أن حبيبها الممثل ترينت كاين الذي كان في الحفلة في بيتها، غادر مستخدماً سيارتها، وهو في حالة من الثمالة والانفعال.

اتشحت أودرا بالسواد في مأتم كاين. ما زال سيث يتذكر ذلك من خلال صور في الصحيفة الصغيرة. وبعد عام، نزلت إلى ممر الكنيسة للمرة الثالثة لتتزوج بهنري، مضيفة إلى ثرائها بضعة بليارات من الدولارات بعد أن توفي هذا الأخير وهما لم يحتفلا بعيد زواج واحد بعد.

- ستدفعين، يا عزيزتي!

تمتم سيث لإحدى الصور ذات اللونين الأبيض والأسود، متخلّصاً من كل الضعف الذي استسلم له حين استلقت أودرا غير واعية على ذراعه الليلة الماضية.

بعد أن سلّم أودرا إلى الأطباء في قسم الطوارىء، أمضى معظم الليل وهو يعطي تصريحاته للشرطة. وفي اليوم التالي تزايد توتره لأنه فوّت تصوير خروج أودرا من المستشفى، فقد أمضى الصباح وهو يصلح آلة التصوير المحطّمة.

قال له التقني الذي أصلحها، والذي يعرفه باسم سميثفيلد فقط: «من المؤسف جداً أنك لم تلتقط صورتها وهي تختنق. أراهن أن الصحيفة كانت ستدفع مبلغاً محترماً، يمكنك من التقاعد على الفور».

ابتسم سيث ابتسامة واضحة صريحة. لم يكن مستعداً ليترك مهنة التصوير الآن، كما أن المال ليس هو المسألة، لديه الكثير منه بفضل عقود التأمين التي تركها له أفراد أسرته.

أخذ سيث جرعة أخرى من قهوته، ونظر إلى صورة أسرته المعلّقة على الحائط. التقط هذه الصورة منذ عامين، قبل ساعات فقط من الحادث المشؤوم. قام لاحقاً بتكبيرها، ووضعها في إطار مزين بطريقة محترفة. كانت أخته وأمه تضحكان، رغم أن ابتسامتيهما لم تصلا إلى أعينهما، أما زوج أمه فينظر إلى الوراء من دون أن يبدو

على وجهه أي تأثير لابتسامة صغيرة، بل بدت شفتاه مطبقتين بشدّة.

دوّت ذكرى الجدال القديم في ذهن سيث، وأصابته الأصوات العالية بالتوتر لأن أحدها كان صوته. تغلغل فيه الألم المألوف الذي ينتابه دائماً، موقظاً في داخله تلك المعاناة الكامنة هناك. بعد ثلاث ساعات من التقاطه لهذه الصورة، توفي زوج أمّه وأخته غير الشقيقة، وتسبّبت أخيراً جروح بليغة وقاتلة بحالة غيبوبة لأمّه.

لم يودّع سيث أحداً منهم قط.

لم يستطع أن يقول لهم كم هو آسف.

وخزه الشعور بالذنب مجدّداً، لكن سيث لم يُعره اهتماماً.

لديه عمل يقوم به... لديه حملة تدمير لينهيها. قام سيث بتشغيل الكومبيوتر، ودخل إلى شبكة الإنترنت. بعد خمس عشرة دقيقة، وبعد بضع نقراتٍ على الفأرة، حجز لنفسه مكاناً على متن طائرة تتوجّه مباشرة إلى مطار متروبوليتان في ديترويت. هذه الطائرة ستغادر لوس أنجلس في أقل من ثماني ساعات.

٣ - توأمان

لم يتغير أي شيء!

اتكأت أودرا على سياج العبارة التي تنقل الركاب، وتأملت الجزيرة وهي تكبر في ضوء الصباح المشع. لاحظت أن البيوت المنتشرة شمال حوض السفن أصبحت أكثر كثافة ممّا تتذكر. بيوت كبيرة مع نوافذ واسعة جداً تسمح لساكنيها بالتمتع بمنظر البحيرة الرائع. لكن أجزاء كثيرة من تلك الجزيرة لا تزال على حالها، وكأنها نوع من الأمكنة التي لا تتأثر بعامل الزمن.

مضى على وجود أودرا في ميشيغان أربعة أيام، واستغرق منها الأمر هذا الوقت الطويل لتستجمع شجاعتها. استغرقت الرحلة من بيلوسكي نصف ساعة فقط، وبقيت أودرا طوال الوقت تتساءل عمّا ستقوله لأختها حين تقف أمامها أخيراً وجهاً لوجه.

آسفة لأنني خذلتك!

آسفة لأنني جرحتك!

آسفة لأنني هربت... مع صديقك!

لم يكن الأمر خسيساً إلى هذه الدرجة طبعاً، فقد كانت آلي لتصدّقها لو أن أودرا حاولت إقناع أختها بالعكس.

يومها، بالكاد قبلت أودرا أن يقلها لوك بانينغ معه وهو يغادر الجزيرة أيضاً ليتوجه إلى العبارة. قفزت إلى سيارة الهارلي، ولم ينظر أي منهما إلى الوراء، ثم افترقا على البر الرئيسي، حيث توجه لوك إلى الشرق نحو نيويورك ليبرهن جدارته كالعادة، أما أودرا فتوجهت غرباً إلى هوليوود،

ساعية إلى الشهرة. لم تكن واثقة تماماً مما تقوم به حين قرّرت سلوك ذلك الطريق الوعر.

شعرت أودرا بارتداد محرّك العبارة الضخم بحيث خفف من تقدّم السفينة الكبيرة، لترتطم برقّة بالمرفأ قبل أن تتوقف. انخفض المعبر الفولاذي محدثاً صوتاً ميكانيكياً، وبدأت السيارات تقلع باتجاه البر. لحقتها أودرا سيراً على قدميها بعد أن تركت سيارتها المستأجرة على البر الرئيسي علها تؤخر وقت هروبها من الجزيرة إذا ما استسلمت لثورة أعصابها وقرّرت الرجوع.

أمعنت نظرها في الحشود، ثم أخذت نفساً عميقاً وقضمت شفتها السفلى. رأت الكثير من الوجوه، معظمها كان مألوفاً بغض النظر عن مرور عشر سنوات. بعض الناس عرفوا هويتها، فقد أدركت ذلك من خلال نظرات أعينهم قبل أن تتحول إلى نظرات إدانة. لم تكن تلك مفاجأة لها، إذ لا أحد من قاطني الجزيرة يمكنه أن يتجاهل نكرانها لارتباطها بترليوم، فمن الواضح أن أودرا تكره الاعتراف أنها ولدت ونشأت فيها.

مر بعض الوقت وهي ما زالت تنظر بأمل إلى الحشود. نظرت إلى صفّ السيارات التي تغادر المعبر في رحلة عودتها إلى البر، على الرغم من أنها أدركت في سرّها أن آلي لم تأت لملاقاتها. اتصلت أودرا بأختها الليلة السابقة وتركت لها رسائل على البريد الصوتي في المنزل وفي المتجع التي تعمل فيه، وبالطبع عرفت آلي أن أودرا وصلت اليوم إلى الجزيرة.

آه، حسناً! لم تتوقع أودرا أن يكون الأمر سهلاً. لم تكن الطريق إلى المتجع طويلة جداً، لكنها تمتد بمعظمها صعوداً. بالرغم من أنها تدخّن، ولم تتوقف عن التدخين إلا منذ أسبوع، تفتخر أودرا بأنها تحافظ على رشاقة جسمها. فهي تسير عادةً خمسة أميال على آلة المشي الرياضية وعشرين دقيقة على الأدراج، لذا اعتقدت أن السير

لمسافة ميلين صعوداً ليس بالأمر العسير، إلاّ أنها غيّرت رأيها بعد أن قطعت مسافة نصف ميل، ولعنت كعبي حذائها المصمم بإتقان. بلغت الحرارة في ذلك اليوم أوائل درجات الستينيات، لكن بدا الجو أكثر برودة بفضل وجود البحيرة. على الرغم من هذا، خلعت أودرا حذاءها الأسود الجلدي الباهظ الثمن، ملقية نظرة أسف على كعبيه اللذين يرتفعان حوالي الأربع إنشات. بقدميها العاريتين، انطلقت مجدداً، متفادية الصخور المنتشرة على سطح الإسفلت.

رأى سيث المرأة الشقراء الرائعة تعرج على حافة الطريق وهو يلتف بالسيارة حول المنعطف. عرف هويتها على الفور في اللحظة التي أوقف فيها سيارته البونتياك الصغيرة المستأجرة إلى جانب الطريق: أودرا كونلان هوارد شوفر وينفلد. يا له من محظوظ!.

لقد طاف الجزيرة بحثاً عن أودرا في الأيام القليلة الماضية، واستعلم عنها بتحفّظ، لكنه انتهى بمعلومات قليلة عرفها من سكان الجزيرة المحليين الكتومين. أوشك سيث على الاعتقاد أنه أخطأ في التعرف على موطنها الأصلي، لذا شعر بالفرح الشديد الآن لتقديم المساعدة لها مجدداً.

أظهرت أودرا ابتسامة خاطفة عبرت عن ارتياحها حين أوقف سيث سيارته بجانبها، فيما أحسّ سيث كأن بغلاً ركل بحافره الخلفي فم معدته. في تلك اللحظة، فهم جيداً السبب الذي قاد ثلاثة رجال أغنياء أذكياء وحذقين بسرعة إلى المذبح.

بدت نظرات أودرا قاتلة، لا سيّما الآن. اختفى ذلك الشعر الأشقر البلاتيني الذي تباهت به في كاليفورنيا، وبدا لون شعرها الآن أقرب إلى لون العسل. ومع أن شعرها لا يزال منسدلاً على كتفيها، إلا أنه لم يعد أملس، بل غدا أشبه بكومة تجعّدات قصيرة تصل إلى مستوى جبينها، كأنها تنتظر يد رجل لتتغلغل فيها وتسرحها. شد سيث قبضته على مقود السيارة.

بعض الأشياء الأخرى اختلفت أيضاً. تبرّجها بدا أقل شدة، فالظلال فوق عينيها وأحمر الشفاه بالكاد تظهر. حتى اختيارها لملابسها بدا متحفّظاً رغم تماشيه مع الموضة. اختفت تلك القبات المنخفضة التي توحي بأكثر مما تظهر، فأصبحت قبة قميصها مرتفعة عند العنق، وقد ارتدت قميصها تلك تحت سترة قصيرة لائقة. غطى العلامات على عنقها وشاح كان مربوطاً كيفما اتفق، أما سروالها فلم يكن من جلد ثعبان الماء أو الجلد المزأبر أو جلد النمر المزيف الذي تباهت به في حفل كيك روك في الخريف الماضي، بل هو سروال أزرق عادي يصل إلى أعلى خصرها، وحذاؤها ذو الساقين الطويلتين أسود اللون ذو رأسين مستدقين وهي تحمله في يدها. إنه يمثل طبع أودرا، فهو غير عملي ومن أحدث طراز مع الكعبين العاليين الخطرين.

سألها سيث بعد أن استرجع قدرته على الكلام: «هل أوصلك؟».

- يا إلهي! نعم.

غرقت أودرا في المقعد بجانبه وهي تصدر أنيناً خفيفاً يعبّر عن ارتياحها، وقالت: «أنتَ ملاك».

- في الواقع، أنا سيث. سيث ريدلي.

أعطاها اسمه الحقيقي إذ ساوره شك بسيط بأن الاسم الذي يدّعيه في عمله مألوف لأودرا.

- أنا أودرا... جونز.

أمر ممتع! فكر سيث. تحاول أودرا أن تخفي هويتها كي تبقي المصوّرين الفضوليين أمثاله متحفزين لمعرفة أخبارها، من دون شك. قدّر سيث جهودها، فهو أراد معلومات حصرية له، وقد بدا الظرف مؤاتياً لذلك، إذ إنه لم يرَ أي مصور منذ قدومه إلى الجزيرة.

أضافت أودرا محركة يدها لتشدّ حزام الأمان: «وأنت ملاك فعلاً».

بدت يدها نحيلة، نحيفة العظام وناعمة البشرة. تذكر سيث جيداً كيف تشابكت يدها بسهولة ورقة بيده الأكبر حجماً في تلك الليلة. حين أمسك

بتلك اليد الآن أحسّ بحرارتها. بدت خالية من المجوهرات كاليد الأخرى تماماً. لاحظ سيث شيئاً آخراً أيضاً، لم تعد أودرا تتباهى بأظافرها الحمراء الداكنة الطويلة التي طالما تميّزت بها كما تميزت بالشعر الأشقر البلاتيني. بصورة عامة، لم تبدُ أودرا كالمرأة التي التقط صورها، واحتفظ لها بمئات من الصور الرقمية على مر السنتين السابقتين. لسبب ما، ضايقه هذا الأمر.

جلا سيث حنجرته، وقال: «يسرّني لقاؤك».

أمالت أودرا رأسها إلى جهة واحدة، وما لبثت أن عبست فتقوس حاجباها الأنيقان، وقالت: «تبدو... هل التقينا سابقاً؟».

- لا يمكننا القول إننا فعلنا.

لم تكن هذه كذبة بالتحديد، فهما لم يلتقيا قط. لم يلتقيا وجهاً لوجه قبل تلك الليلة حين حملها سيث بين ذراعيه، ولامس شعرها وخطف تلك القبلة المجنونة على صدغها في لحظة ضعف سوف يندم عليها.

- هممم... تبدو مألوفاً.

أجاب سيث بهزة من كتفه قبل أن يقول: «أعتقد أنني أمتلك أحد تلك الوجوه المألوفة».

ثم سألها: «إلى أين تتوجهين؟».

- إلى المنتجع.

تعلّم سيث مسبقاً أن ما من حاجة للتوضيح أكثر على تلك الجزيرة. إذ إن هنالك أكواخاً متشابهة، وحجرات في السفن وفنادق خاصة منتشرة على خط الشاطىء الذي يمتد على مسافة خمسة وثمانين ميلاً، لكن هناك منتجعاً واحداً هو سايبروك. يقع هذا المنتجع على أرض تبلغ مساحتها ثلاثة وخمسين فداناً، تطل بضع مئات ياردات منها على واجهة البحيرة.

ضحك سيث وقال: «أنا أيضاً».

سألته: «هل ستبقى في المنتجع؟».

- نعم، وأنتِ؟

هزّت أودرا رأسها إيجاباً وقالت: «أنا أنزل في فندق على البر الأصلي، لكنني جئت لأرى أحدهم فحسب».

هذا الجواب لم يعجب سيث الذي أراد أن تكون أودرا قريبة المنال.. ولوحدها.

- سوف تحطمين قلبي إذا قلت إنه رجل.

ثم غمزها، متذكراً أن هذا النوع من المغازلة هو فنٌّ تبرع فيه أودرا. إلا أنها ضحكت، وفاجأته لأنها لم ترد الغمزة، بل همهمت بنعومة: «العائلة».

- آه! أتنزل عائلتك في المنتجع؟

- لا، هي... ليست هنا.

لم يستطع سيث إلا أن يُعجب بهذه الأجوبة الغامضة من امرأة اعتادت على كشف كل أوراقها إلى المصورين الذين يلاحقونها.

أدارت أودرا رأسها، ولمح سيث الندبة الصغيرة على صدغها. أسرار... حسناً! فلتحاول إخفاء أسرارها، فقد قرر سيث أن يفضح كل سرّ تحاول إخفاءه.

يرقد منتجع سايبروك على سفح تلة مواجهة لبحيرة ميشيغان، أما البر الأصلي فيقع على بعد ثلاثة أميال منها. يتألف هذا المنتجع من ثلاثة طوابق، تزين واجهته أعمدة ضخمة، فيما طليت جدرانه وشرفاته بلون أبيض نقي. امتدت أمام المدخل سقيفة خشبية انتشرت تحتها كراسي هزازة مصنوعة من أغصان مجدولة، راحت تتمايل في نسيم الصباح المنعش.

يحتوي الفندق الرئيسي في هذا المنتجع على مئة غرفة تقريباً، ويعود بناؤه إلى العام ١٩١٠. وهو منذ ذلك التاريخ، يستقبل عائلات ثرية من ديترويت، شيكاغو، نيويورك وحتى من الخارج. عائلات ذات ثراء عريق فضّلت عدم الاختلاط بعائلات حديثة الثراء وبتلك المتدنية المستوى.

هنالك بيت صغير وعدّة أكواخ تنتشر في الغابات القريبة أسست بين

www.elromancia.com

العامين ١٩٤٠ و ١٩٥٠. في تلك السنوات، جعل منها كل من كاري غرانت ومارلين مونرو وكلارك غابيل وغيرهم من النجوم الساطعين واحتهم التي يلجأون إليها للاستراحة، فأضفوا بذلك سحراً على صورة المنتجع الجذابة أصلاً.

لطالما عمل أهل أودرا في المنتجع، الذي يعتبر العصب الأساسي لاقتصاد الجزيرة من خلال تأمينه للعديد من الوظائف للعائلات المحلية. أثناء فترة نموهما، كانت أودرا وآلي تتسلّلان إلى حديقة الورود خارج غرفة الطعام الرئيسية تماماً كي تحظيا برؤية المشاهير.

لطالما تاقت أودرا لأن تصبح نجمة منذ كانت في الصفوف الابتدائية. أخيراً ذهبت إلى هوليوود وأدركت أن الشكل الجميل والمهارة لا يكفيان بالضرورة لجعلها تحقق نجاحاً باهراً أمام آلة التصوير.

وصل سيث بسيارته إلى الباحة الخلفية للفندق. لم يكن هناك الكثير من السيارات لكن وقت الزحمة لن يبدأ إلا في عطلة ذكرى انتهاء الحرب التي ما زال دونها بضعة أسابيع.

قال سيث: «ها قد وصلنا!».

انتعلت أودرا حذاءها مجدّداً، ناظرة بتجهم إلى الخدوش التي ظهرت على قدميها.

- أشكرك لأنك أوصلتني.

أجاب سيث: «من دواعي سروري».

تردّد لحظة ثم أكمل: «هل يمكننا أن نتناول العشاء معاً؟».

استدعت هذه الدعوة ابتسامة أودرا. لم يبدُ على سيث كأنه أحد قراء تلك الصحف الصغيرة، لذا شكّت أودرا في أن يكون على علم بأفعالها الطائشة. بدا لها أنه لا يعرف من هي وما هي شخصيتها الحقيقية. كم يبدو جميلاً أن تمضي ليلة مع شخص لا يمتلك آراء مسبقة عنها... شخص لا يتوقع منها أن تتصرّف بطريقة جامحة. على الرغم من هذا،

خيّبت أودرا آمال سيث حين قالت: «لا أظن هذا».

قرّرت أن تبتعد عن الرجال في المستقبل القريب، فهؤلاء لم يسببوا لها إلا الأسى. زوجها الأول جرحها بقوة حطمت قلبها، والثاني سبب لها الألم وتركها معذبة الروح، أما علاقتها مع الممثل ترنت كاين فكانت كارثة منذ بدايتها الشائكة حتى انتهائها بحادث اصطدام كارثي.

أما هنري، فبدا ملاذاً آمناً جداً، مرفأً هادئاً تستريح فيه من كل الهزّات التي سببتها لنفسها في حياتها. بدا لطيفاً ومتفهماً، وبالفعل، يمكنها الاعتراف الآن بأنه صورة عن أبيها. لم يكن زواجهما مبنياً على الحب، لكنها احترمته وأحبّته. ورغم هذا، لم تتوقع أن يعيد كتابة وصيّته لمصلحتها مستثنياً ابنه منها.

سألها سيث: «أنتِ تعبسين. أيعني هذا أنك غيّرت رأيك؟».

- كلا، أنا آسفة.

أخرج سيث ورقة صغيرة من الدرج الأمامي للسيارة. نظر إلى ما كتب عليها وبدا راضياً لأنه لم يكن شيئاً مهماً على ما يبدو، ثم خربش على الجهة الأخرى من الورقة.

- احتفظي بهذه، فربما كان لديك وقت فراغ.

غمزها سيث وهو يسلّمها إيّاها.

رقم غرفته. آه، يا له من رجل حاذق! فكرت أودرا وهي تدسّ الورقة في جيب معطفها. إنه وسيم أيضاً، ذو شعر نحاسي، وعينان يمتزج فيهما اللونان الرمادي والأزرق، وأنف مستقيم يتناسق وفكّه القوي وفمه الواسع.

افترضت أودرا أن طول سيث يبلغ الست أقدام، وليس في جسمه ذرة من الوزن الزائد. لم تكن عضلاته بارزة جداً، إلاّ أنه بدا أنيقاً بسرواله الضيق، وهي تراهن أنه ذو جسد قوي ويتمتع بسمرة رائعة.

بدا سيث ريدلي مغايراً تماماً لنوع رجال الأعمال المتأنقين ذوي الثياب المصممة بإتقان الذين واعدتهم من قبل، إلاّ أنها لا تستطيع

www.elromancia.com

القول إنه ليس جذاباً. مرة أخرى، بدا لها وجهه مألوفاً بشكل كبير.

حين سعل سيث، أدركت أودرا أن دقيقة كاملة مضت وهي تفتش عن ذلك اللغز الخدّاع في تقاسيم وجهه. همست معتذرة: «آسفة».

وشعرت بالحياء ثم نظرت إليه نظرة سريعة قبل أن تضيف: «حسناً! مع السلامة».

ثم فتحت الباب وخرجت. وما لبثت أن سمعت باب سيارته يغلق بعنف وأدركت أنه يتبع خطاها. فقد أخبرها أنه يقيم في المنتجع.

ابتسمت أودرا بتهذيب، فابتسم لها بدوره وهو يمسك الباب المؤدي إلى رواق المنتجع الأساسي ليفسح لها المجال للمرور. بعدئذٍ توقفت، وحدّقت إلى الداخل تاركة العنان للذكريات التي تدفقت نحوها كنهر دافىء من الأمل.

بدا سايبروك من الداخل كما تذكره، إلى حين دققت النظر إليه. ما زال هذا المكان يتمتع بالأناقة والذوق الرفيع بسبب هندسته الرائعة، ونوافذه الزجاجية الكثيرة ذات الزوايا المتعددة والثريات النحاسية التي تتدلى منها قطع البلور اللامعة.

تدلت هذه الثريات من السقف الذي يبلغ ارتفاعه عشر أقدام، كما فرشت الأرض بسجادات خضراء أنيقة. أما مكتب الاستقبال الذي هو عبارة عن منضدة طويلة ضخمة من خشب الماهوغاني فقد ظهرت الخدوش في واجهته القريبة من الأرض بسبب ارتطام حقائب المسافرين بها، فيما بدت النوافذ ضبابية وغير واضحة الرؤية في ضوء الصباح الباكر.

قال سيث: «يا لهذا المكان الرائع!».

استغرقت أودرا في ذكريات الماضي، حتى كادت تنسى أن سيث ما زال يقف إلى جانبها.

علّقت: «لطالما كان كذلك».

شعرت ببعض الخيبة لرؤية التآكل الذي أصاب زوايا المنضدة،

والذي بدا أن سببه الحف أثناء التنظيف. فكرت بأن تعطي المدير بعض النصائح بهذا الشأن، لكنها رأت آلي في تلك اللحظة فتذكرت سبب وجودها الحقيقي في ذاك المكان.

قالت أودرا لسيث: «اعذرني».

ومن دون أن تنتظر ردّه، توجهت إلى حيث تقف أختها بقرب المصعد القديم حيث كانت تتكلم مع خادم الفندق.

كانت آلي ترتدي قميصاً بيضاء مجعّدة وقد أقفلت الزر العلوي لقبتها مع ربطة عنق سخيفة هدفت إلى إظهارها كامرأة محترفة، بالإضافة إلى تنورة زرقاء مرتبة تصل إلى ما تحت ركبتيها بالضبط، وتنتعل حذاء جلدياً من دون كعبين، يبدو من دون أناقة.

بدا من الواضح لأودرا أن ذوق آلي في الموضة لم يتحسن خلال الأعوام التي ابتعدا فيها عن بعضهما، كما لم تتغيّر تصفيفة شعرها، فقد كانت مصممة على ما يبدو أن تترك شعرها الكثيف البني المائل إلى الاحمرار منسدلاً كذيل الفرس من دون أي اهتمام به. كادت يدا أودرا تمتد باتجاهه لتحاول فكّه ثم تدفع أختها إلى أقرب مصفف للشعر؛ دبوس من هنا، ملقط من هناك، وسوف يصبح هذا الشعر رائع الجمال، فيضفي على وجه صاحبته الكثير من الجاذبية.

حين رحل الموظف، استدارت آلي ببطء، وما لبثت أن تسمرت في مكانها عندما رأت أودرا التي ابتلعت ريقها بدورها، قبل أن تدفع ابتسامة صغيرة إلى شفتيها.

- مرحباً، آلي!

قطعت أودرا المسافة التي تفصلهما لأنها شكّت أن آلي ستفعل. لم تشأ أودرا أن تصرخ في أول لقاء وجهاً لوجه مع أختها التي لم تلتقِ بها منذ عشرة أعوام.

عبست آلي في وجه أودرا وقالت: «أودرا!».

- أملت أن أجدك بانتظاري على المعبر. ربما... لم تتلقي رسائلي.

- بل تلقّيتها.

فهمت أودرا مغزى ردها جيداً، وهزت رأسها تعبيراً عن تقبّلها الأمر، ثم أردفت: «آه! فهمت».

قالت آلي لها بقسوة: «اسمعي! أنا مشغولة الآن، لا وقت لدي لسماع أي نقاش عائلي قد يدور في ذهنك».

نظرت أودرا إلى البطاقة على قميص أختها: آلي كونلان، مديرة.

فكرت بالنوافذ المغطاة بالغبار ومنضدة الاستقبال البالية. ما تعرفه عن شخصية أختها المثالية جعلتها تشعر بالاستغراب أن تسمح آلي بحصول مثل هذا الاهمال فيما هي تستطيع أن تفعل شيئاً حيال ذلك. لم تستطع أودرا إلا أن تتذكر تلك الشجارات الكثيرة التي قامت بينهما وهما صغيرتان بشأن ترتيب غرفة نومهما المشتركة. لطالما كانت آلي محبة للترتيب، حتى إن جواربها كانت مطوية في أدراجها منسّقة حسب اللون ومصفوفة بترتيب في صفوف أفقية صغيرة. أما أدراج أودرا وخزانتها، فبالكاد يمكن إقفالها بسبب الفوضى التي تسودها. حتى إن بعض القطع غير المطوية كانت تبرز إلى الخارج كالأعشاب الصغيرة.

- أأنتِ هي المديرة؟ تلقيت بطاقة من داين في عيد الميلاد يقول فيها إنك مجرد مساعدة.

قالت آلي: «ترقيت إلى منصب المديرة، الشهر الماضي».

هذا ما يفسر الأمر، فكرت أودرا. أختها لا تستطيع أن تعالج كل شيء خلال ثلاثين يوماً فحسب. ذكّرت أودرا نفسها أن الاهتمام بالمنتجع ليس السبب في رجوعها، بل المرأة التي تقف أمامها هي السبب.

- في أي وقت تنهين عملك؟ أود... أود فعلاً التحدث إليك.

أجابتها آلي بصرامة: «ليس هناك ما أريد سماعه منك».

وشبكت يديها كأنها تقول إنها لن تعطيها حتى عشرين دقيقة.

بالرغم من هذا، أصرّت أودرا: «من فضلك!».

وضعت أودرا يدها برفق على يدي أختها المتشابكتين، لكن يدها أبعدت بسرعة، ولمع الغضب في عيني آلي السوداوين، مخترقاً روح أودرا بألم أفظع حتى من قبضة ابن زوجها الخانقة.

- لم ترغبي في قول شيء لي طوال عشر سنوات أودرا... فقط اختفيت عن وجه الأرض منذ أن رحلت مع لوك.

- في الواقع، لم أرحل مع لوك. فقد...

قاطعتها آلي: «اعفيني من التفاصيل».

- كنت تعرفين مكاني.

- آه! وكيف لا أعرف؟ حتى إن تفاصيل حياتك الخاصة كانت منشورة في العلن، قرأنا كل شيء عن أعراسك... بعد مغادرتك.

ذكرتها أودرا: «دعوتك إلى حفلة الزفاف الأولى».

يومها أتى داين وكذلك أهلها، لكن آلي لم تفعل.

- كنت مشغولة.

لم تدع أودرا أياً منهم إلى حفلتي زفافها التاليتين. قالت لنفسها إن الترتيبات حُضّرت بسرعة، ولم يكن هنالك متسع من الوقت. أما الآن، فأدركت أن سبب ما حصل هو أنها كانت تتخذ قرارات خاطئة لذا فضلت عدم حضور أحد من أفراد عائلتها كشهود عليها.

حسناً! هذا كله أصبح الآن من الماضي.

- لقد تغيّرت.

- هل صحا ضميرك بعد محاولة قتلك الأخيرة؟

أخذت أودرا نفساً عميقاً وقالت: «إذاً... سمعتِ بالأمر؟».

- وكيف لا أسمع؟ تصل الأخبار حتى إلى هذه المقاطعة.

- هل أنتِ آسفة لأنه لم ينجح؟

سألت أودرا هذا السؤال وهي ترفع حاجبيها عرضياً، بالرغم من أن قلبها راح يدق كالمطرقة في صدرها. أرعبتها فكرة أن تتمنى أختها

موتها.

لم تجب آلي. وفي المقابل سألت سؤالاً آخر.

- لِمَ أنتِ هنا أودرا؟ لم تكن الجزيرة تلائمك حين كنا صغاراً.

- هذا ليس صحيحاً.

بالكاد رفعت آلي حاجباً وسألت مجدداً: «لماذا؟».

أجابت أودرا بهدوء: «إنها موطني».

شيء ما في محيا أختها بدأ يلين، لكنها هزّت رأسها.

- لا تتوقعي مني أن أرحّب بك. يمكن لداين أن يفعل، فلطالما كان أخونا يحاول أن يحافظ على السلام.

مالت آلي برأسها إلى جهة واحدة وأكملت: «أتى لتوه من لوس أنجلس. سافر ليراك بعد سماعه خبر الاعتداء عليك على شاشة سي أن أن. ما إن وصل إلى المستشفى حتى كنتِ قد دفعت فاتورتك واختفيت».

شعرت أودرا بالدفء يغمر قلبها لمجرد التفكير أن أخاها ما زال يهتم لأمرها كثيراً بعد كل هذا الألم الذي سببته له.

علقت قائلة: «سأعتذر إلى داين حين أراه».

ثم أكملت: «لن أذهب إلى أي مكان. أريد الاعتذار منك أيضاً. سأبقى هنا إلى أن تصبحي مستعدة لسماعي».

- دعكِ من الأمر.

استدارت آلي ومشت بعيداً، تاركة أودرا تتساءل إن كانت تقصد أن لا حاجة إلى التفسير أو أنها لا تحتاج إلى أختها. لم يكن أي من هذين الخيارين جيداً.

راقب سيث الحديث المتأجج بين المرأتين بحماس، وتساءل حين غادرت الشقراء منفعلة: ما القصة؟ أقنع نفسه أنه توجّه إلى الرواق حيث تقف أودرا لمجرد أنه لا يستطيع ضبط فضوله فحسب، وليس لأنها بدت وحيدة وخائرة العزم تماماً.

سألها: «أهذه هي العائلة التي قلت إنك ستلتقينها هنا؟».

أجفلت أودرا حين سمعت صوت سيث. يمكنه أن يُقسم أنه رأى دموعاً في عينيها الزرقاوين عندما استدارت، لكنها رمشت بسرعة فاختفت آثار دموعها أو.. ربما لم تكن موجودة أصلاً. ربما هي خدعة ضوء.

أكدّت أودرا: «إنها أختي».

- آه! أهي أصغر منك أم أكبر؟

همست أودرا: «أختي التوأم».

رفع سيث حاجبه في تعجب. إن بحثه لم يكشف له هذه المعلومة. على أي حال، هو لم يكن مهتماً لمعرفة أي شيء عن عائلتها إلا من ناحية الانتقام لعائلته.

ابتسمت أودرا ابتسامة ملتوية.

- لا تقلها! أعرف أننا لا نشبه بعضنا بشيء.

هزّ سيث كتفيه، ونقل نظراته بين أودرا وأختها التي وقفت الآن خلف منضدة الاستقبال على بُعد بضع أقدام منهما، تتكلم مع أحد الزوار. بدت المرأتان من الطول نفسه إلا أنهما مختلفتان من النواحي الأخرى كلها؛ إحداهما شقراء والأخرى سمراء، عينان زرقاوان وأخريان ذات لون بني نحاسي، فضلاً على ذلك، فإحداهما بدينة والأخرى نحيلة. مع ذلك فهما ما زالتا تتمتعان بصفة مشتركة.

- آه! لا أعرف... أنتما الاثنتان جميلتان.

عبّرت أودرا عن فهمها تملّقه بابتسامة صغيرة، وسرعان ما دفع سيث الأمور لصالحه.

- دعيني أبتاع لك كوباً من القهوة. يمكننا أن نرتشفه على الشرفة وأن نستفيد من إحدى تلك الكراسي الهزازة. إنّ منظر بحيرة ميشيغان رائع، والقهوة ليست سيئة أيضاً.

نظرت أودرا قليلاً إلى منضدة الاستقبال، وكأنها تفكر في خياراتها.

أخيراً، قالت له: «أريدها مع القشطة والسكر».

يقع المنتجع على تلة عالية تنحدر إلى الشاطىء المغطى بالرمل الأبيض. تعرف أودرا أن المساحة الممتدة بين الشرفة والشاطىء تمتلىء خلال فصل الصيف بالأزهار البرية، أما اليوم فما زال أمامها بعض الوقت لتتفتح براعمها.

كانت الأمواج تتلاطم على الشاطىء، مدفوعة بحركة الهواء. بين الجزيرة والبر الرئيسي، تراقصت الأمواج البيضاء على مياه البحيرة الزرقاء. وجدت أودرا هذا المنظر مريحاً فيما شمس الصباح المتأخرة أشعرتها بالدفء والانتعاش بالرغم من النسيم البارد الذي جعلها ممتنة لأنها ارتدت معطفها.

جلست أودرا وسيث على كرسيين هزازين مصنوعين من أماليد مجدولة، موضوعين إلى إحدى الجهات من البابين اللذين يوصلان إلى مدخل المنتجع، وأخذا يرتشفان قهوتهما، ويتبادلان أطراف الأحاديث. تمنت أودرا ألاّ يلاحظ سيث أنها ظلت تنظر من خلال النافذة، محاولة النظر إلى أبعد من انعكاس صورتها لترى أختها في الداخل.

سألته بتهذيب: «أهذه هي أول زيارة لك إلى ترليوم؟».

- نعم.

- هل أنتَ من ميشيغان؟

- لا. في الواقع، أقطن في الغرب.

- آه!

أجبرت أودرا نفسها على إعادة انتباهها إلى شريكها وقالت: «يا له من عالم صغير! أعيش على الشاطىء الغربي منذ عقد من السنوات، لكنني نشأت هنا في ترليوم».

- لا أصدّق أنك تركتِ هذا المكان، حتى لو كنت تتوقين إلى مناخ أكثر دفئاً. إنه جميل جداً.

ضحكت أودرا بنعومة وقالت: «هل تظن أنه عندما يتساقط الثلج هنا

يمكنك الخروج في اليوم التالي».

- لكل شيء جميل مساوئه.

- هذه طريقة ممتعة للتفكير بالأمور.

ارتشفت قهوتها مجدداً ثم أضافت: «يبدو لي أنك تستمتع بالمناظر هنا».

النظرة التي أعطاها سيث لأودرا بدت مليئة بالاستحسان والاعجاب.

- نعم، أفعل. هناك مقدار كبير من الجمال هنا.

تجاهلت أودرا ابتسامة سيث، رغم أنها شعرت بإغراء لتبادله ابتسامته في السيارة، حين سألته ما إذا كانا قد التقيا من قبل، قال إنه يبدو مألوفاً لأنه يملك أحد تلك الوجوه المألوفة على الأرجح. لكن لم يكن هناك شيء عادي بالنسبة لوجهه أو للأشياء التي أثّرت بمعدل نبضها.

تلاعبت أودرا بالغطاء البلاستيكي الذي كان على كوب قهوتها، وسألت: «هل تنزهت في أنحاء الجزيرة؟».

- ليس كثيراً. لا!

- عليكَ حقاً القيام بهذا.

تمتد مساحة كبيرة من الأرض تبلغ حوالى الربع ميل مربع خلف المنتجع، وهي غنية بالحياة البريّة، حيث تتفتح البراعم في كل أنحاء ترليوم في هذا الوقت من السنة.

- ربما تودين مرافقتي في نزهة قبل العودة إلى المعبر. يمكنكِ أن تعرفيني على الحياة البحرية والبرية للجزيرة. ويمكنني دعوتك لتناول العشاء.

هزّت أودرا كرسيها إلى الخلف ورفعت رجليها، ثم قالت: «آسفة. ليس لدي حذاء ملائم للتنزه اليوم».

- يا لخسارتي!

سألته أودرا: «إذاً، ما الذي تفعله بالإضافة إلى إنقاذ الفتيات في المحن؟».

كاد سيث يختنق بقهوته، ثم سألها: «ماذا تقصدين؟».

- كنت أعرج على تلك الدرجات الآن لو لم توصلني.

- آه! هذا ما تقصدينه.

رفعت أودرا إبهامها فوق كتفها، وقالت: «والآن... في الخلف هناك، فعلتها مجدداً».

- أنقذتك؟ كيف؟

- دعك من المراوغة، بدا من الواضح أن أختي لم تكن سعيدة برؤيتي.

- تبدو العائلات معقّدة أحياناً.

- هل عائلتك كذلك؟

أخذه هذا السؤال على حين غرّة، ربما لأنّه فتح عليه باباً لطالما أراده أن يبقى مقفلاً بإحكام.

كانت عائلة سيث معقّدة فعلاً. توفي أبوه حين كان في الثانية عشرة من عمره، وتزوجت أمه بعد سنة. بعدئذٍ، وُلدت لي آن. أحبّ سيث أخته، لكنه لم يستطع سيث أن يحب زوج أمه، على الرغم من التماسات هذه الأخيرة. تصارع سيث وجونز وودس منذ اليوم الأول للقائهما... حتى ذلك النهار في بيغ سور.

دفع سيث تلك الذكريات جانباً، وقال: «ليست لدي عائلة».

تراجعت نظرته باتجاه أودرا، وأراد أن يرخي قبضته على الفنجان المزبد بالرغوة. أراد أن يهدىء من روعه قبل أن يفسد كل شيء، فوقف متلهفاً لبضع دقائق في محاولة ليستجمع قواه.

وسألها: «ما رأيك بالمزيد من القهوة؟».

ضحكت أودرا وهي غافلة كلياً عما يحمله من جراح عميقة ينوي أن يحملها مسؤوليتها. سحبت عشرين دولاراً من محفظتها، وأعطتها لسيث قائلة: «أنا سأدفع هذه المرة».

آه! بالفعل، يجب أن تدفع!

٤ - مطر، لقاء وعناق

في الصباح الباكر، كانت أودرا خارج العبارة مرّة أخرى متوجّهة إلى الجزيرة. هذه المرّة جلست في سيارتها المستأجرة مع ستّ حقائب من الأمتعة تثقل الصندوق والمقعد الخلفي. دفعت المبلغ المتوجّب عليها في فندق بيتوسكي حيث سجلت نفسها تحت اسم زائف، ودفعت نقداً منعاً للفت الأنظار. الآن قررت أن تبقى في المنتجع، وهكذا ستجبر آلي على التحدث إليها، إن لم يكن بصفة أختٍ لها فبصفتها زبونة تدفع أجراً لإقامتها.

ما إن وصلت العبارة إلى الحوض وانخفض السياج، حتى كانت أودرا الأولى التي تقلع بسيارتها. تساقط المطر من سماء مكفهرة ورمادية، كشلال يغسل زجاج سيارتها. فبدا الطقس مكملاً مثالياً لمزاجها.

لم تنم جيداً الليلة السابقة. في الواقع هي لم تنم مطلقاً، لكنها امتنعت عن تناول المهدّئات مع أن هنالك الكثير منها في حقيبة تيرّجها، كما أنها أمضت السهرة من دون تناول القهوة التي هي معتادة عليها. حان الوقت لمواجهة الحياة من دون دعائم.

بالرغم من هذا، تاقت أودرا إلى تدخين سيجارة فيما هي تبطىء من تقدمها قرب مدخل المنتجع. قادت سيارتها إلى أبعد من ذلك المكان، فهي ما زالت بحاجة إلى بعض الوقت قبل أن تواجه نظرات أختها المتحجّرة، لذا توجّهت جنوباً ثم غرباً. امتد الطريق على طول خط حوض السفن قبل أن يلتف متوجهاً أبعد إلى الداخل، حيث حظيت

المنازل المحاذية للمياه بخصوصية أكبر بفضل الحافة الكبيرة التي تملؤها أشجار البلوط الضخمة وأشجار القيقب والأرز.

بدا الطريق مألوفاً فتدفقت إليها الذكريات. تعلّمت أودرا قيادة السيارة على هذه الرقعة من الأرض وبندقية الصيد الخاصة بوالدها موضوعة على المقعد الأمامي المزدوج لسيارة البويك القديمة، فيما آلي وداين يجلسان في الخلف. تذكرت أختها التي تدعي معرفة كل شيء وهي تصيح بها مصدرة التعليمات طيلة الطريق، بينما يقوم أخوها الأكبر باستعراض هزلي لتثبيت حزام الأمان، ثم يدعي شاكياً عدم قدرته على ذلك.

بالرغم من إلفتها بالطريق، تجاوزت أودرا الطريق الخاص تقريباً. ولاحظت أن شجرة البلوط الضخمة التي لطالما وقفت حارساً على حدود أملاكهم قد اختفت، ولم يبق سوى جذع مجوف في أعلاه علامة خشبية كتب عليها: داين كونلان، أخصائي في المحاسبة.

هزّت رأسها غير مصدقة. أخوها محاسب! ما زالت أودرا عاجزة عن فهم سبب اختياره لهذه المهنة. بدا لها أن في الأمر تناقض واضح. كل المحاسبين الذين التقتهم خلال السنوات المنصرمة كانوا تقليديين ومهووسين بالنظافة، بالإضافة إلى أنهم مملّين. داين الذي تذكره أودرا يتمتع بحس المسؤولية، لكنه مغامر مع ابتسامة سريعة ومغرورة توقعه في المشاكل أكثر ممّا تنقذه منها.

قفز غزال أبيض الذيل على الطريق الخاص، على مسافة لا تبعد عن سيارة أودرا بسوى اثنتي عشرة قدماً، وبدا خائفاً مثلها تماماً. راهنت بآخر دولار تملكه إن داين ما زال يملك مخزناً هناك، مملوءاً بالذرة المجففة والجزر فضلاً عن الشمندر السّكري.

لن يعترف أخوها الأكبر بالأمر، لكنه حقاً من الأشخاص الليني العريكة، وإلا ما الذي يفسّر مسامحته لأودرا على كل أخطائها حتى قبل أن تطلب منه الغفران؟

كان المطر يهطل بغزارة، لكن بالكاد لاحظت هذا. ركنت سيارتها

قرب سيارة داين التريلبلايزر الحمراء اللامعة المركونة على الحصى قرب الطريق الخاص، وبقيت جالسة في داخلها تحدّق بالبيت. بدا المنظر الخارجي نفسه ما عدا المصاريع الحمراء للنوافذ في الطابق العلوي. أغمضت أودرا عينيها وتذكرت الغرف في الداخل: مطبخ، غرفة جلوس، غرفة نوم وحمّام في الطابق الأساسي وغرفتا نوم مفصولتان بخزانة حمّام في الأعلى.

نشأت أودرا في هذا المكان. كان البيت بواجهته الحجريّة وسقفه المغطى بألواح من الصفيح الأحمر صغيراً كما تتذكره، وليس رائعاً كالبيوت الجديدة القائمة على الحافة الشمالية للجزيرة. لم يعد هذا يشعرها بالخجل قط، فقد عاشت أودرا في منازل هي غاية في الرفاهيّة مع أزواجها الثلاثة، وأدركت أن الفخامة ليست أفضل بالضرورة.

تطلّب معرفة هذا منها ثلاثين سنة، لكن أودرا فهمت أخيراً أن المنزل الكبير قد يكون خالياً أحياناً، بغض النظر عن كمية المحتويات الغالية الثمن التي تملؤه. تماماً كما كانت هي نفسها خالية في فترة انقطاعها عن الناس الذين أثروا على حياتها، متوهمة أن السعادة يمكن أن تشترى بطريقة ما.

مسحت دمعة انحدرت على خدّها. من المؤسف أن والديها لم يعودا هنا ليشهدا عودتها إلى مسقط رأسها، إنهما يعيشان في فلوريدا الآن. ستذهب لرؤيتهما ولطلب السماح منهما أيضاً، لكن يجب أن تكون الجزيرة وآلي نقطة البداية بالنسبة إليها.

لم تهدأ زخات المطر خلال الدقائق التالية. في الواقع، راح المطر يتساقط بغزارة أكبر متدفقاً من فتحة تصريف المياه في السقف المنحدر للبيت على شكل شلالات غزيرة تسببت بتلطيخ جدران البيت بالوحل. بالطبع، لم يكن مع أودرا مظلة، وبالرغم من ذلك، فهي لن تشعر بالانزعاج إذا ما تبلّلت في هذا اليوم بالذات.

ما إن خطت أودرا خارج السيارة حتى غمرها المطر البارد كأنما هو

يطهرها بطريقة غريبة. رفعت رأسها إلى الأعلى كي تتلقّفها الأمطار، ثم أخذت نفساً عميقاً.

امرأة جديدة وأفكار جديدة!

حين اندفعت أودرا إلى باب البيت، شعرت بالسعادة لأنها اختارت حذاءً عملياً أكثر: غالي الثمن وذو تصميم مميّز، لكنه عمليّ بفضل كعبيه المنخفضين ونعليه المطاطيين. بلغت أودرا مِقبض الباب، لكنها توقفت قبل أن تفتحه، فهي لم تعد تعيش هنا. رفعت قبضة يدها، ودقّت على الباب.

لم يُجب أحد في البداية، وما لبث أن صاح صوت رجولي مألوف من الداخل: «ادخل من الجهة الخلفية!».

داين!

راحت أودرا تبتسم وهي تستدير لتدخل من الجهة الأخرى للمنزل، مع أن شعرها كان يقطر ماءً وثيابها مبللة كلياً، لكن لم يمنعها شيء من الابتسام. مرّت فترة طويلة جداً، بحق السماء!

كان أخوها يقف تحت سقف الشرفة الخلفية للمنزل، وفي يده كوب يتصاعد منه البخار. النظرة التي ظهرت على وجهه لرؤيتها لا تقدّر بثمن، وجاءت بلسماً لروحها المجروحة. أخيراً، هناك من يشعر بالسعادة لرؤيتها.

- يا إلهي! أهذه أنتِ؟

وضع أخوها الكوب من يده، غير مبال بمحتوياته الساخنة التي تدفّقت من حافّته إلى يده ثم إلى حافة الشرفة. داين هو أكبر من أودرا بثلاث سنوات وأكثر طولاً منها، لكنه بدا كالولد حين أطلق صرخة فرح وتلقّاها بعناق شديد قوي ضغط بشدة على قفصها الصدري.

قال لها أخوها وهو لا يزال يمسكها بشدّة: «رؤيتك تفرحني وتريح قلبي يا صغيرة».

صغيرة! لم تستطع أودرا إيقاف دموعها المتدفقة على خدّيها...

دموع ساخنة امتزجت بالمطر البارد.

لطالما كان الأمر هكذا: مع آلي، لا يمكنها فعل شيء صحيح. مع داين، لا يمكنها فعل شيء خاطئ.

استطاعت أودرا أن تهمس: «تسرني رؤيتك أيضاً».

أمّا ما سكت الاثنان عنه فهو أن أودرا نَفَتْ أخاها من حياتها وليس العكس. أتى داين ليراها قبل طلاقها من ريد هوارد، وكانت أودرا حينها تبلغ الرابعة والعشرين من عمرها، وهي مجروحة القلب تماماً بسبب خيانة زوجها لها وافتراضه أنها لم تقبل ذلك فحسب بل شاركت فيه أيضاً. يومها كانت بسيطة وغبيّة، لكنها ليست فاسقة. واست أودرا نفسها بالذهاب إلى سهرة لهو كلفت آلاف الدولارات على حساب بطاقات اعتماد زوجها، وهذا أمر لم يعجب داين حينها.

- يمكنه تحمّل هذا.

راحت أودرا تسخر من زوجها بهذا القول، وقد جرحتها نبرة داين الاتهامية، ثم أكملت: «بالإضافة إلى أنني امرأة غنية جداً، وسأصبح أكثر غنى».

- زواجك يتحطم وهذا كل ما تفكرين به؟

لم تورط أودرا أخاها بمعرفة مشاكلها الزوجية أو مشكلة طلاقها المعلّق. بدا لها أن من الأفضل أن تجعله يعتقد أنها أنانية وباردة.

لم يلتقِ أودرا وداين وجهاً لوجه منذ ذلك الوقت، بالرغم من أنهما ظلاّ يتحادثان عبر الهاتف، ويتبادلان بطاقات المعايدة والبريد الإلكتروني من وقت إلى آخر. اعتاد داين أن ينهي رسائله بالكلمات الآتية: «أرجوكِ، عودي إلى البيت».

رجعت أودرا الآن.. وليبارك الله داين، فقد بدا في الحقيقة سعيداً برجوع أخته.

- يا إلهي! أود. شعرت بالقلق كثيراً عليك، لا سيما بعد...

- أعرف. أعرف. قالت آلي إنك سافرت لتراني، لكنني كنت قد

رحلت.

عانقت أودرا أخاها مجدداً عناقاً قوياً، وقد شعرت بالسعادة وهي تتمسك بجسم صلب، حقيقي ومرحّب، أما الكلمات التي ظنت أن من الصعب عليها التلفظ بها فتدفقت بسهولة لأخيها.

- أنا آسفة داين. آسفة على كل شيء. لقد تصرفت بطريقة فوضوية.

- انسي ذلك الآن.

- لا! لا أستطيع. لدي الكثير لأقوله. هناك أشياء يجب أن أشرحها لكَ، ولآلي حين تصبح مستعدة لسماعي.

- أعرف. إلاّ أن الشرح يمكن أن ينتظر، أما الآن فأنا سعيد لأنك هُنا فحسب.

نظر داين إلى السماء الباكية كأنه لاحظ المطر لتوّه.

- يا له من رجوع تحت المطر، يا صغيرة!

ضحكت أودرا وعلّقت: «ماذا تتوقع؟ هذه ميشيغان. انتظر خمس دقائق وسيتغير الطقس».

قال لها داين: «أخبريني عن رأيك في هذا. كانت درجات الحرارة قرابة السبعين درجة منذ بضعة أسابيع، ثم رأيت ثلجاً يتساقط بعد يومين. تعالي لنبتعد عن المطر».

وضع داين ذراعه حول كتفيها وقادها إلى الدرج. تحولت المياه إلى برك من الوحل على الفسحات الخشبية حول رجلي أودرا حين وصلت إلى الأعلى واحتمت تحت سقف الرواق.

- سأبقى هنا حتى تأتي لي بمنشفة. لا أريد أن أبلل الأرض كلها.

- يجب أن أتقاضى أجراً لتقديم المناشف اليوم.

قال داين ممازحاً، وهو يتقدم باتجاه الرجل الذي يقف على الشرفة بعيداً إلى الخلف، بحيث لم تلاحظهُ أودرا من قبل.

- احتجزه الطقس السيء لمدة ساعة. هذا هو...

- سيث.

قاطعته أودرا وهي غير قادرة على كبح الابتسامة التي حرّكت شفتيها أو الانجذاب المفاجيء الذي كاد يجعلها تتنهّد.

امرأة جديدة بأفكار جديدة! ذكّرت نفسها في سرّها قبل أن تقول بلا اكتراث: «التقينا البارحة».

- آه!

نقل داين نظره بين سيث وأودرا من دون أي تعليق آخر.

- سأذهب لأحضر لكِ المنشفة. ما رأيك بشراب ساخن يحميك من البرد؟

- الشاي بالأعشاب، إذا كان متوفراً.

وقف داين هنيهة على الباب مرسلاً نظرة باتجاهها تقول: «هل تمزحين؟».

حاولت أودرا مرة أخرى قائلة: «إيرل غراي من دون كافين».

عندئذٍ قال داين: «كوب ليبتون عادي إذاً».

واختفى داخل المنزل.

قال سيث لأودرا: «يا لها من صدفة أن أراك هنا!».

- نعم، بالفعل.

غاصت نظرات أودرا في الشيء الذي كان سيث يحمله في يده. آلة تصوير للمحترفين ولا تشبه مطلقاً آلة تصوير فورية رخيصة أو ذات عدسة عادية أيضاً. لا! هذه الآلة سوداء، كبيرة ومتطورة، وبدت غالية الثمن. إنها من النوع الذي يستعمله المحترفون. عرفت أودرا ذلك لأنها شاهدت عدداً لا يستهان به منها في حياتها. الطريقة التي حملها سيث بها؛ اليد اليسرى تحملها بتملك واليد اليمنى ضاغطة على الزر الذي تعتقد أودرا أنه زر التصوير، جعلتها تظن أنّه متآلف جداً معها.

هل التقط صورة لها وهي تعانق داين؟

تقلّصت معدة أودرا إلى الأسفل قبل أن تتحرك من جديد إلى الأعلى. لطالما رحّبت قبل اليوم بدخول آلة التصوير إلى حياتها، أو على الأقل هي

لم تحاول القيام بشيء ذي قيمة لتوقف هذا التدخّل، أما الآن، فهي لا تريد لمعة من ضوء وسائل الإعلام أن تتركز عليها. أرادت بعض الخصوصية لتتصالح مع عائلتها ومع جذورها، لتبدأ حياتها من جديد.

تسلّل الشك إلى نبرة صوتها، فبدت باردة حين قالت: «لم أدرك أنك مصوّر».

- إنها مجرد هواية!

رفع سيث كتفيه، لكن حركاته بدت واثقة ودقيقة حين انحنى ليضع آلة التصوير في علبتها السوداء. حين استقام في وقفته من جديد قال: «قررت أن آخذ بنصيحتكِ».

- آه!

- في ما يخص النزهة. كنت آخذ صوراً للترليوم حين علقت تحت المطر.

بدت قصته معقولة لكن...!

تابع سيث يسألها: «إذاً، كيف تعرفين داين؟ إنه ليس صديقك أم ماذا؟».

شعرت أودرا بالارتياح قليلاً. ربّما لم يعرف سيث هويتها الحقيقية بعد كل ما حصل. لو أنه عرفها أو كان أحد المصورين الذين يلاحقونها، لاكتشف أن أودرا وداين هما شقيقان.

- هو أخي.

ضحك سيث وقال: «أخوك... آه، حسناً!».

- لِمَ تقول ذلك؟

غمزها سيث وقال: «سعيد أنا لأجلك، لأن هذه العلاقة الأخوية هي أقل تعقيداً من علاقتك بأختك».

ضحكت أودرا الآن وقالت: «هكذا إذاً!».

- أعتقد أنك غبت لفترة طويلة.

وافقته أودرا قائلة: «نعم».

- حسناً! لديك الكثير على الأرجح لتعوّضيه.

رفع سيث حزام حقيبته على كتفه، لكنه لم يغادر. تمنى أن يلتقي بأودرا اليوم، لكن ليس بالضرورة في بيت أخيها. و... آه! يبدو أنه عرف باب من يدق بالضبط حين التجأ من المطر.

ركن سيث سيارته المستأجرة على الطريق على بعد نصف ميل من المنزل ومشى ببطء، على أمل أن تحنن هيئته المبللة قلب الرجل الآخر، فيدعوه إلى الداخل لدقيقة أو لدقيقتين.

وهذا ما فعله داين بالضبط.

المشكلة هي أن سيث أحبّ داين، فقد بدا داين ودوداً، منفتحاً، متواضعاً ولطيفاً. ولو أن الظروف مختلفة لرغب سيث مشاركته في نزهة ما، ما جعله يشعر بعدم الارتياح لإخفاء شخصيته الحقيقية عنه. لكن للضرورة أحكام. أراد سيث أن يبقى قريباً من أودرا على قدر المستطاع، وصداقة أخيها طريقة جيدة للتقرّب منها.

على الأقل كانت كذلك إلى حين رآهما يتعانقان، ورأى تعابير وجههما. فكر سيث بأخته... تذكر كيف يكون الأمر حين يسعى الأخ الأصغر سناً لطلب السّماح. لم تخيّبه لي آن أبداً بالطريقة التي خيبت بها أودرا داين بسبب تصرفاتها العنيفة. لطالما كانت لي تلميذة متفوقة، ذكية، تتمتع بالعزم والتصميم. كانت الحياة كلها أمامها لولا...

انتزع سيث هذا التفكير من رأسه من دون رحمة، وعاد إلى الواقع مجدداً... إلى عمله وإلى المرأة التي تقف أمامه. فكّر سيث في سره أن هذه المرأة لا تستحقّ عطفه.

قالت أودرا: «لا يبدو أن المطر على وشك التوقف».

واعتبرت أن تعبير سيث المكتئب المفاجيء هو ردّة فعل على حالة الطقس.

- يمكنني أن أعيدكَ إلى المنتجع إذا أحببت. أدين لكَ بهذا بعد أن

أوصلتني البارحة. سيبقى داين بانتظاري.

- شكراً على هذا العرض، لكن سيارتي ليست بعيدة من هنا.

لمس سيث شعره الذي يقطر ماءً وأضاف: «كما أنني مبلّل».

وافقت أودرا وهي تعصر المياه من معطفها المبتل قائلة: «وأنا مبللة تماماً».

- مع ذلك تبدين جميلة.

لم يعرف سيث من أين أتت تلك الكلمات أو كيف استطاعت أن تنزلق إلى شفتيه، لكنها خرجت. أما ما سبب له الانزعاج أكثر فهو أنها حقيقيّة، إذ إن أودرا بدت رائعة. بشرتها رطبة بسبب المطر، ثيابها مفصلة على انثناءات جسمها الملفتة، وشعرها الرطب جذاب بخصله الكثيفة المجعدة. ابتلع سيث ريقه بصعوبة.

- أبدو فوضوية.

مسحت أودرا خدّيها، ثم راحت تنفض الماء عن شعرها. لم يرَ سيث هذه المرأة متوترة من قبل. تقدّم نحوها إلى أن احتل المساحة المحيطة بها.

رفع يده ودسّ بضع خصلات من شعرها وراء أذنها، ثم أراح كفّه على المساحة الباردة من خدّها. مسح بطرف إبهامه آخر لطخة من الكحل انسابت من عينيها. اللهفة التي اجتاحت كيانه في تلك اللحظة صدمته بشدة: إنه يرغب في معانقة أودرا!

لم يفكر بالأمر كثيراً. وجد نفسه يميل إلى الأمام فيحتضنها بين ذراعيه ويعانقها. تغلغلت الحرارة إلى داخل جسمه، وأدهشته حدّتها في الصميم. توقف! أمره عقله بذلك، لكن بدا له أن جسمه يرفض الانصياع لأوامر عقله فاستمر في معانقتها.

كانت أودرا هي التي ابتعدت، وأجبرت يدي سيث أن تبتعدا عنها. وضع سيث يده وراء عنقه وحاول أن يهدىء من روعه. لم يكن متأكداً ما إذا كان الارتياح أم خيبة الأمل السبب في الانقباض الذي شعر به في

صدره.

لحسن الحظ أن صوته سيث جاء هادئاً حين سألها: «هل يجب عليّ أن أعتذر؟».

- لا! كانت... لا.

انخفضت نظرة أودرا إلى الأرض، وضربت رأس حذائها في بركة الوحل التي تكوّنت حول رجليها. تساءل سيث: أهي تشعر بالخجل حقاً؟ أودرا كونلان هاورد ستوفر وينفلد تشعر بهذا القدر من الخجل؟ إلى متى سيدوم هذا الضعف المفاجىء قبل أن تكتفي هذه الفتاة اللعوب من التوبة والعلاقات العائلية المتينة وتقرر تغيير حياتها؟ أراد أودرا القديمة أن ترجع مجدداً، عندئذٍ من السهل عليه أن يكرهها، أما أودرا الحالية فهو يتوق إلى معانقتها، يريد الوصول إليها. تراجع سيث خطوةً جسدياً وعقلياً، مبتعداً عن الحافة التي ترنّح عنها لتوّه، مدركاً أن عليه مراقبة خطواته.

بالرغم من أن غريزة الحفاظ على الذات حثته على الابتعاد عنها ومتابعة سيره، إلاّ أن سيث عرف أنه بحاجة إلى تلك الصور الحصرية التي لطالما سعى إليها.

قال لها وهو يتوجه نحو الدرج: «ربما يمكننا أن نلتقي لتناول شراب أو أي شيء آخر قبل أن تتوجهي إلى البر اليوم».

- لن أرجع. قررت أن أبقى على الجزيرة.

أصدر الباب صوت صرير ما إن فتحه داين حاملاً منشفة ذات زغب بإحدى يديه وفنجان الشاي المطلوب بأخرى.

- هل سمعت أنكِ باقية؟

حين هزّت أودرا رأسها إيجاباً، ابتسم أخوها ابتسامة عريضة وقال: «إلى متى؟».

ابتسمت أودرا بدورها. تلك الأسنان البيضاء اللامعة البراقة والشفاه المكتنزة ذكرت سيث بأودرا التي عرفها جيّداً من خلال عدسة آلة

التصوير، إلاّ أن العزم الذي لمع في عينيها هو أمر لم يره قط قبل الآن.

- أنا باقية هنا بقدر ما يتطلب الأمر.

بالرغم من تدفّق المطر الغزير على رأس سيث، راح يهمهم مرحاً وهو يمشي نحو سيارته المستأجرة بعد بضع دقائق.

هذا ما قالته أودرا: «أنا باقية هنا بقدر ما يتطلب الأمر».

وهذه هي المدّة التي يحتاجها سيث كذلك.

٥ - ويبقى الأمل

- ماذا تعنين بقولك ما من غرف شاغرة؟

سألت أودرا، محاولة أن تخفي الانزعاج في نبرة صوتها. لم تتوقع أن تسهّل آلي أمر اللقاء بينهما، لكنها لم تتوقع أيضاً أن تصدّ كل جهودها للمصالحة.

على الجهة الأخرى من طاولة الاستقبال، رمشت آلي جفنيها ببراءة.

- أنا آسفة سيدة وينفلد، لم يبق لدينا غرف شاغرة.

استعمال اسم عائلة زوجها أثار غضبها بقدر ما فعل تهذيب أختها المصطنع، لكنها لن تستسلم. قررت أودرا أن تبقى على جزيرة ترليوم إلى أن تصفو الأجواء. غالباً ما كانت تسلك الطريق الأسهل حين تواجهها العقبات في الماضي، لكن ليس هذه المرّة. ذلك أن احترام آلي ومسامحتها أمران هامان جدّاً بالنسبة إليها.

وضعت ابتسامة على وجهها، وسألت: «أتعنين أن غرف المنتجع كلها، بالإضافة إلى النزل والأكواخ الاثني عشر استؤجرت كلها في منتصف الأسبوع، حتى قبل الموسم السياحي؟ لا عجب أنهم جعلوك المديرة، أليس».

توترت عضلة في خد آلي وضاقت عيناها لتصبحا أشبه بشقين صغيرين خطيرين. كبحت أودرا الشعور الملح بالابتسام، فهي تدرك أن آلي تكره أن تُدعى باسمها الحقيقي. تذكرت جيّداً ومضة الغضب الحارقة التي يسبّبها لها ذكر اسمها.

بدا من الواضح أن رباطة جأش أختها قد بدأت بالاهتزاز فهمست:

www.elromancia.com

«لا تدَعيني باسم أليس!».

- حسناً! لا تدعيني باسم «سيدة وينفلد».

- حسناً!

أخذت آلي نفساً عميقاً، ودسّت خصلة شعر كانت قد أفلتت من تسريحة شعرها المنسدل على شكل ذيل الحصان. جاءت نبرتها محترفة وغير شخصية حين قالت: «لم أقل إن المنتجع ممتلىء. ما قلته هو إننا لا نملك غرفاً لنؤجّرها لكِ».

- لماذا تصعبين الأمر؟

سألت أودرا بنعومة ومدت يدها من فوق المنضدة لتشدّ على يد آلي. قائلة: «رجعت إلى هنا لأنني... أريدك أن تسامحيني».

أبعدت آلي يدها بسرعة خاطفة، وقالت بنبرة قاسية كقسوة تصرفها: «هناك أفعال لا تغتفر».

- إذا سمحت لي بخمس دقائق فقط كي أشرح لكِ، فسوف تغيّرين رأيك.

هزّت آلي رأسها رافضة الفكرة وزفرت قائلة: «أنا مشغولة جداً، أود. لا وقت لدي لهذا الآن».

لكن استعمال أختها لاسم التحبب وإطلاقها تنهيدة تدل على استسلامها أعطيا أودرا سبباً لتأمل بأن موقف أختها سوف يلين.

- أخبرني داين أن مالكي المنتجع أعلنا الإفلاس، وأنه لن يمر وقت طويل قبل أن يقفل أبوابه للأبد أو يُعرض للبيع، ثم يأتي صاحب عقارات من خارج الجزيرة ويستولي عليه.

الأخوان اللذان يملكان حالياً منتجع سايبروك هما من الجيل الرابع في الجزيرة، وظل هذا المنتجع ملكاً لعائلتهما منذ تأسيسه. كبر الرجلان في السن الآن ولم يعودا يتمتعان بصحة جيّدة. أحدهما لم يتزوج قط، والآخر توفيت زوجته وولداه في حادثة مأساوية. انتقل الأخوان إلى أريزونا منذ عامين، وأثناء غيابهما استلم الإدارة رجل بذّر الكثير من

الأموال ما أدى إلى إفلاس المنتجع.

بدا الجو في أوج توتّره، إلا أن آلي لم تفقد أعصابها فرفعت أنفها وقالت: «شؤون المنتجع لا تخصّك».

إلا أن أودرا لم توافقها الرأي. لطالما لعب سايبروك دوراً مهمّاً في طفولة أودرا، إنه الملجأ الدافىء الذي نشأت فيه مع داين وآلي. في الواقع، يتمحور الكثير من ذكرياتها حول هذا المكان، حيث عمل أبوهم رئيس حرّاس الأراضي الواقعة حول المنتجع وأمّهم خادمة بدوام جزئي.

- لا يخصّني؟ كيف تقولين هذا؟ نحن نشأنا معاً هنا، وهنا تعرّف والدانا على بعضهما البعض. وتزوجا في حديقة الأزهار، واحتفلا لمناسبة كل عيد زواج بوجبة طعام فاخرة في صالة المطعم.

- هذا كله من الماضي، لكن المستقبل هو ما يهمّني.

- ذكر داين أنك تحاولين إقناع مجموعة من المستثمرين المحليين بشراء منتجع سايبروك. أعتقد أن هذا تصرف ذكي، فالمنتجع هو أساس اقتصاد الجزيرة. قال إنه مستعد لإعادة رهن البيت وإنك تخططين لفعل الشيء نفسه بالكوخ الذي أعطاك إيّاه غران، كما أن أمي وأبي مستعدان لاقتطاع بعضاً من توفيرات تقاعدهما.

- فم داين كبير جداً.

- أنا أملك المال...

بدأت أودرا بالكلام، لكن آلي أسكتتها بنظرة مميتة.

قالت آلي بنبرة لاذعة: «كيف تجرؤين على المجيء إلى هنا لتعرضي أمام وجهي الحساب المصرفي الذي استحصلتِ عليه من عملك القذر؟ داين وأنا سنتوصل إلى طريقة لشراء المنتجع من دون مساعدتك».

جرحت هذه الكلمات أودرا في الصميم، لكنها ابتلعت غصة الألم التي سببتها لها، ونجحت في إبقاء نبرتها ثابتة وهي تقول: «أنتِ تتكلمين عن ملايين الدولارات، وهذا ثمنه فقط. ماذا عن مصاريف إعادة

التشغيل، وأجور العمال المنتظمة؟ ماذا عن مصاريف التجديد والإصلاح أو... ربّما التوسيع؟».

أصبحت هيئة أختها أكثر صلابة.

- فكّرت في هذا كله، فأنا المديرة هنا، وأنا أعرف ما الذي يجب القيام به لإدارة سايبروك.

- إذاً تعرفين حق المعرفة أنه يتطلب أموالاً تزيد عما تستطيعين أنت وبعض سكان الجزيرة تأمينه. لقد قمت ببعض الاستثمارات الذكية على مرّ السنين. اكرهيني بقدر ما تشائين، لكن دعيني أساعدك.

- لا!

فتحت أودرا فمها لتتابع الجدال، لكنها رأت بطرف عينها سيث ريدلي جالساً في البهو. فلم تجد من الحكمة متابعة نقاش خاص كهذا على مسمعه. أحبّت أودرا أن تبقى حياتها مجهولة بالنسبة إليه.

هو لا يعرف أنها فاحشة الثراء وذات سمعة سيئة. ويبدو لها أنه أحب علاقتهما البسيطة، مثلها تماماً.

كما يقول المثل، هناك أشياء لا يشتريها المال. عرفت أودرا في الواقع أن الحب والاحترام يحتلان رأس اللائحة. وفيما هي تلقي نظرة على شفتي أختها المشدودتين، أضافت المسامحة إلى تلك اللائحة.

- سأدع هذا الأمر جانباً الآن، أما الآن فأقل ما يمكنك القيام به هو إعطائي غرفة. ضعي كرهك لي بعيداً عن مصالح المنتجع المالية.

ثم رفعت حاجبيها بتحدٍ وأضافت: «هذا ما يجب أن تفعله امرأة أعمال ناجحة».

نظرت آلي إلى أودرا مطوّلاً قبل أن تنقر بضع نقرات على لوحة مفاتيح الحاسوب.

قالت بعدئذٍ بصرامة: «حسناً! يبدو أن هناك ما هو متوفر بعد كل شيء».

- رائع! في أي طابق؟

ابتسمت آلي وقالت: «في الواقع، هو ليس في الفندق.. أو في النزل».

هذا يعني أنه في الأكواخ، التي تحمل الأرقام من واحد إلى اثني عشر، والتي يمكن رؤية الكوخ الأول بينها من المبنى الأساسي. لا بأس بذلك! في نهار جميل كهذا يمكنها الوصول إلى هناك سيراً على القدمين لو أنها تنتعل الحذاء المناسب، لكن الأرض ما زالت موحلة بسبب الأمطار التي تساقطت في الصباح. بعد أن استعادت أودرا نشاطها في بيت داين، عادت وانتعلت كعباً عالياً. حسناً! الآن ستقود السيارة، لكن لا نيّة لديها في إعادة حقائبها إلى السيارة ثم إنزالها حين تصل إلى مقرّها.

- لا بأس بذلك! لكن على أحدهم نقل أغراضي إلى الكوخ الأول.

قالت آلي: «الكوخ الأول؟ في الواقع، حجزت لك في الكوخ الأخير».

إنه الكوخ الأبعد عن المنتجع!

- آه! أتقصدين بعيد عن العين، بعيد عن القلب؟

- مع ذلك... يبقى هناك أمل.

قبل أن تتمكن أودرا من التعليق، كان سيث قد وقف بجانبها. مثلها تماماً، كان قد لبس ثياباً جافّة ورائحة الصابون النقي تعبق منه، وفكّرت أودرا أنه تنعّم بحمّام طويل ساخن. ابتلعت ريقها وجفّ فمها حين تراءت لها على غفلة صورته وهو يقوم بذلك. كبحت رغبتها الملحة بأن تمرّر أطراف أصابعها على شعره الذي ما زال رطباً.

حيّاها سيث بابتسامة لطيفة: «مرحباً، مجدداً».

لحسن الحظ أن سيث لم يبدُ منتبهاً لتسارع أنفاس أودرا حين اقترب منها، لكن عينا آلي ضاقتا وحملت نظراتهما علامات شكّ وهي تراقب أودرا التي راحت تتلاعب برباط حقيبة يدها المصنوعة من جلد التمساح،

وتبحث في ذهنها عن كلمات مناسبة تقولها.

كل ما تمكنت من قوله: «مرحباً».

- إنها المرّة الثانية التي تلتقي فيها خطانا في يوم واحد.

- حسناً! إنها جزيرة صغيرة.

وجّهت أودرا حديثها إلى سيث، لكنها رفعت حاجبيها بحركة ذات مغزى حين عادت ونظرت إلى أختها.

- أتحجزين هنا؟

قال سيث ذلك مشيراً نحو الجبل الصغير من الحقائب الأنيقة التصميم المكوّمة على عربة نقل الحقائب بالقرب منهما.

- نعم، هذا ما أفعله.

سلّمت بطاقة اعتمادها لأختها لتبدأ بالإجراءات.

- أظنك أخبرتني أنك ستبقين في فندق على البر الرئيسي؟

- هذا صحيح.

مجدداً ابتسمت أودرا لآلي، قبل أن تتابع: «لكني غيّرت رأيي. سأقيم الآن في واحد من تلك الأكواخ».

قال سيث بلطافة: «ربما ستعيدين التفكير بدعوتي لك للعشاء معي، أيضاً».

تودد سيث الواضح لأودرا أمام آلي غمر خدّيها بالحرارة. كم من السنوات مضت على الوقت الذي كان وجهها يحمر وهي في صحبة رجل؟ بالرغم من هذا، لم تقوَ أودرا على تفادي حصول ذلك الآن.

لم يكن ذلك بسبب سيث فحسب، بل لأنها عرفت ما الذي ستفكر آلي به عنها.

ألم تتهمها أختها منذ قليل ببيع نفسها مقابل الحصول على حساب مصرفي دسم؟

لم يكن الأمر كذلك في الواقع... ليس عن قصد على أي حال. لكن هذا كله حصل في الماضي.

قرّرت أودرا أن تركز اهتمامها على المرأة التي أصبحت عليها الآن، والمرأة التي ستصبح عليها في المستقبل.

امرأة جديدة بأفكار جديدة!

امرأة جديدة بأفكار جديدة!

امرأة جديدة بأفكار جديدة!

رددت هذه العبارة في سرّها، وعلى الرغم من هذا لم ترفض دعوة سيث بصرامة. في المقابل، تلعثمت بحماقة: «أنا... أنا... إر... هذا...».

- ليس عليك أخذ القرار الآن.

قاطعها سيث بابتسامة، مسبباً لها المزيد من الخجل، ثم أضاف: «لكن عديني أن تفكّري بالأمر».

هزّت أودرا رأسها، وما لبث سيث أن أعاد انتباهه إلى آلي.

- إذاً، يبدو أن هناك أكواخ متوفرة؟ حين أردت استئجار أحدها منذ أسبوع قال لي الموظف المسؤول إنها لن تؤجّر قبل آخر شهر أيار في ذكرى انتهاء الحرب».

قالت آلي: «هناك حالات خاصة».

- آه!

ضحك سيث ضحكة ساحرة: «ربما يمكنك أن تشمليني بهذه الظروف الخاصة أنا أيضاً. قرّرت أن أبقى على الجزيرة لفترة أطول، فقد أحببتُ المناظر التي رأيتها أثناء تجوالي في اليوم الأول».

شعرت أودرا أن السّبب الوحيد الذي دفع آلي إلى قبول طلب سيث هو تنحنحها وتلعثمها بسبب دعوته إياها للعشاء.

- لِمَ لا؟

بضع نقرات على لوحة مفاتيح الحاسوب وأصبح الطلب جاهزاً. ضحكت أختها، وأمالت رأسها بسخرية باتجاه أودرا وهي تسلّم سيث مفاتيح الكوخ ما قبل الأخير.

فكر سيث أن آلي كونلان قدمت له خدمة رائعة. كل شيء يسير الآن على أتم ما يرام، بل أفضل ممّا توقّع. يمكنه أن يحظى بلقطات قريبة لأودرا، ما يعطيه القدرة على التقاط صور لتحركاتها وللزوار الذين تهتم لأمرهم.

تحرّكت معدة سيث لمجرد التفكير بالرجال وهم يدخلون ويخرجون بسهولة من كوخها. ربّما تبدو أودرا مختلفة الآن. إنها متزمتة بشكل لم يتوقعه منها، لكن لديه صوراً كافية لها وهي ترتاد الحفلات مع المشاهير، تبيّن أن المرأة التي تقف بجانبه ليست منيعة تجاه الرجال كما تدّعي.

بطريقة مثيرة للاهتمام، صدّت أودرا أو تجاهلت كل جهود سيث لمغازلتها. فقد قطعت عناقهما وقد بدا عليها خجل الفتاة العذراء، ومنذ لحظة فقط تهرّبت مثل تلميذة مدرسة حين دعاها إلى العشاء للمرّة الثالثة.

فكر سيث أن أودرا قد تكون ممثلة بارعة أكثر مما يشهد لها زملاؤها في هوليوود، فهي في الواقع جعلته يعتقد أن دعوته لها لتناول العشاء أشعرتها بالخجل والارتباك.

حين عاد إلى غرفته لإعادة توضيب أغراضه، تذكّر بضعة مقاطع من الحديث الذي دار بين أودرا وأختها، والذي تنصّت عليه بتركيز شديد. اليوم ادّعت أنها تريد السماح، والبارحة ادّعت أنها تغيّرت.

حسناً! لم تأخذها أختها على محمل الجد، وكذلك هو. بالتأكيد، يتخذ بعض الناس قرارات جريئة بعد أن تحل بهم كارثة ما، وحادثة الاختناق التي تعرضت لها أودرا أدت بها إلى اتخاذ مثل هذه القرارات، لكن الأمر لن يدوم طويلاً. ستتعب أودرا من أفعال التوبة، لأن الفتاة اللعوب ما تزال هناك في مكان ما. قرّر سيث أن ينتظر عودتها من خلال عدسة آلة التصوير التي يبقيها جاهزة.

حوالى الساعة الرابعة مساءً، أنهت أودرا توضيب أربع من حقائبها، وما زال هناك حقيبتان تحتويان على مستحضرات التجميل وملابسها

الداخلية لتضعها في أدراج غرفة النوم الكبيرة. اندفعت إلى غرفة النوم وهي تحمل في يديها الاثنتين مجموعتين من الملابس الداخلية حين سمعت الباب الأمامي يدق. نظرت أودرا إلى التخريم الناعم للحظة قبل أن تدسّهما على عجل في الدّرج الأول.

في الواقع، لم تصعب معرفة هوية ضيفها. منذ قليل سلمها موظفو المنتجع الأغطية والمناشف النظيفة المطلوبة. وأخوها داين كان على موعد لتناول عشاء مبكر مع امرأة يواعدها، أما بالنسبة إلى آلي، فهي تفضل أن ينتزع طحالها بسكين صدىء على رؤية أودرا في وقت قريب، لذا لم يبق سوى شاغل الكوخ ما قبل الأخير...

حين فتحت أودرا الباب، كان سيث يقف في الرواق الدائري المواجه للهواء، وعلى وجهه ابتسامة جذابة، وفي كل يد من يديه كوب من الكولا.

قال وهو يناولها كوب: «فكّرت أنك ربما تفضلينه من دون سكر».

- شكراً.

ابتسمت أودرا بدورها، ثم تابعت: «أحاول أن أقرّر ما إذا كانت فكرتك هذه إهانة لي أم أنها ليست كذلك».

قالت أودرا جملتها بلهجة مختلفة عما يعهده سيث لديها. إنها اللهجة التي يتحدث بها سكان الجزيرة. بالرغم من ابتعادها طيلة السنوات العشر الماضية، ها هي أودرا تستعيد لهجتها الأصلية هنا في جزيرتها.

في ما مضى احتاجت إلى خدمات مدرب ليعلمها مخارج الحروف كي تتخلى عن لكنتها الأصلية، فقد كان زوجها الثاني يلقبها بالناطقة بلهجة الغرب الأوسط المزعجة. بالطبع، برع كامدن ستوفر في إثارة أعصاب أودرا وإضعافها، وقد قام المحامي الذي تولى شؤون طلاقها بحرمانه من قسم كبير من ممتلكاته في المحكمة. قد تعتبر آلي أن حصولها على المال بعد مرور أقل من سنتين على الزواج بمثابة الحصول على أجر لخدماتها، وهذا أمر شائن. في ذلك الوقت بدت المسألة معركة صعبة

الكسب، أما الآن فهي نادمة على ذلك. كان يجب عليها أن ترحل فحسب.

أجاب سيث: «آه، حسناً! ما من إهانة مقصودة. ظننت هذا لأن معظم النساء اللواتي أعرفهن يفضّلن المشروبات القليلة السكر. لكن يمكنك أخذ الكوب العادي إذا أردتِ».

- كلا، هذا جيّد.

بعد لحظة تردد، رجعت أودرا خطوة واحدة لتدعه يدخل. بدأ الكوخ الصغير يتقلّص إلى قياس بيت لعبة ما إن وقف سيث في غرفة الجلوس.

سألته أودرا، متشوّقة لتقول شيئاً: «انتهيت من التوضيب تقريباً. ماذا عنك؟».

- لا أحمل الكثير من الأغراض حين أسافر، لذا انتهيت منذ ساعة. توفر لدي الوقت لأذهب إلى دكان البقالة قرب حوض السّفن والقيام ببعض التبضّع. أنا أتناول الطعام في الخارج منذ أن وصلت، حتى ضجرت من اللحوم والمقالي. في الكوخ هناك موقد وفرن كهربائي، فضلاً من ذلك، هناك مشواة على الغاز على الشرفة، ففكّرت أن أستعملها.

- يبدو هذا تصرفاً بيتيّاً جداً.

- يمكنني أن أكون كذلك حين يتطلب الأمر.

تجوّلت نظرات سيث على وجه أودرا، ورأت هي بوضوح الاهتمام الذي لمعت شرارته في عينيه.

تذكرت عناقه لها عندما كانا على شرفة داين، وتساءلت ما إذا كانت ردة فعلها نحوه نوع من الانجذاب. لم تشعر أودرا قط بمثل هذه الأحاسيس من قبل. أحاسيس تغلغلت فيها، مخترقة كيانها كالدخان.

سأل سيث: «ماذا عنك؟».

لاحظت أودرا أن نظرتها تباطأت على وجهه.

- ماذا؟

- ألن تقومي ببعض التسوّق؟

- حسناً...!

فتحت أودرا غطاء علبة المشروب وارتشفت منه رشفة سريعة.

- أظن أنني سأتوجه على الأرجح إلى مكان ما في البلدة.

- أود أن تشاركيني العشاء الليلة.

ها هو سيث يدعوها للمرة الرابعة إلى العشاء، ولم تستطع المقاومة أكثر فبدأت تلين.

- آه! ماذا هناك على لائحة الطعام؟

منحها سيث ابتسامة مشرقة تغضن لها خداه وأشرقت عيناه السوداوان بالنور، فشعرت أودرا بالأرض تتمايل تحت رجليها. لو أنها الآن في كاليفورنيا، لاعتبرت هذا الشعور هزّة بسيطة، أما في ميشيغان، فأدركت أن السبب لا يعود إلى اهتزاز سطح الأرض.

قال سيث: «دجاج».

للحظة فكّرت أودرا أن قصده من ذلك يتعدى حدود الكلمة نفسها. ثم أضاف: «الكل يحب الدجاج... بطريقة أو بأخرى».

- ما عدا النباتيين.

لم تكن أودرا نباتية، رغم أنها لعبت دور امرأة نباتية ذات مرة في مسلسل تلفزيوني. لم يساورها الشك بأن سيث ليس من نوع الرجال الذي يندهشون لواقع أنها امرأة مشهورة ولديها صفوف من المعجبين.

- لدي سلطة أيضاً.

قال سيث ذلك، وابتسم ثانية حين أضاف: «الكل يحب السلطة... بطريقة أو بأخرى».

- أتقول السلطة؟

رفعت أودرا حاجبها وسألته: «أعشاب صغيرة مخلوطة أم خسّ عادي؟».

- هذا اختبار. أليس كذلك؟

أجابت أودرا بعد أن أصبحت على أرض أكثر ثباتاً: «أجب عن السؤال فحسب».

- لا هذا ولا ذاك، في الواقع. اشتريت ملفوفة وزجاجة صلصة لتتوافقا مع العشاء. حتى إنني جلبت بعض الجبن الجاف المبشور الطازج.

- تابع. استحوذت على انتباهي.

- ولدي عصير أيضاً.

- من أي نوع؟

- أنواع عديدة. حاولت أن أتجنّب الفشل.

ضحكت أودرا وقالت: «أظن أنك حظيت بالأمل، بعد كل شيء، سيث ريدلي».

الحديث السّلس الذي دار بينهما أعاد إلى أودرا توازنها. لم تعد تشعر أنها مربوطة اللسان ومرتبكة، إذا ما نظرت إليه لبضع دقائق أكثر. هذا الرجل يبدو كالشمس تماماً: رائعة ملفتة، حتى إنك تنسى مدى خطورتها إذا ما نظرت إليها مطوّلاً.

- ما رأيك بالخامسة والنصف؟

رجع سيث إلى الوراء وهو يتكلم، وفتح باب المدخل ثم سنده برجلٍ واحدة.

قالت ونظراتها لا تزال متركزة على رجله: «رائع».

ثم سعلت وأبعدت نظرها.

- سأراك لاحقاً.

٦ - أسرار اكثر .. واكثر!

أمضت أودرا ما تبقى من النهار وهي تفكر بما سترتديه، بالرغم من تساؤلها إن كانت قد أخطأت في قبول هذه الدعوة. استقر خيارها على سروال جينز واسع الساقين، وجزمة سوداء ذات رأسين مستدقين وكعبين مرتفعين وقميص ضيّقة سوداء ذات قبّة مقلوبة لتخفي الرضوض على عنقها، تلامس حافّتها أعلى السروال المنخفض الخصر.

تجاهلت توتر أعصابها الخفيف الذي جعلها تتفقد هيئتها للمرة الثالثة في المرآة، كذلك طردت كل وهم تكون في رأسها بأن يكون هذا اللقاء أكثر من مشاركة وجبة مع رجل ليس سوى عابر سبيل في حياتها في النهاية.

ألقت فوق كتفيها معطفاً قصيراً من الدنيم وهي تغادر كوخها، وقالت لنفسها إنّ تمضية ليلة مع سيث ستكون بمثابة إلهاء لطيف لها عن كل الأحداث الحالية في حياتها، وهذا الإلهاء المستحب سينتهي بمصافحة.

دقّت أودرا باب سيث مدركة أن كلمة مستحب هي أبعد من أن تكون وصفاً ملطّفاً لسيث ريدلي. أما بالنسبة إلى المصافحة... حسناً! ها قد بدأت تشعر بالخدر في أصابعها وهي لم تقل كلمة مرحباً بعد.

ظهر الرجل على الباب من دون قميص، وقد بدا بالغ الوسامة. كتفاه عريضتان وعضلات صدره محدّدة تماماً، لكن من دون أن تبدو كبيرة أكثر من اللازم. لم يكن لديه شعر كثيف على صدره، إنما بضعة ظلال أغمق من لون شعر رأسه الذي لوحته الشمس. وهو يرتدي سروال جينز ذا قماش لين. تراهن أودرا بكوخ التزلج الذي تملكه إنه ليس قديماً،

وإنما أظهر كذلك عمداً عن طريق غسله مراراً.

- مرحباً.

- قلت الخامسة والنصف. أليس كذلك؟

نجحت أودرا بإخراج الكلمات من فمها دون تلعثم. شعرت بالفخر لأن نظراتها استقرّت فوق عظم الترقوة لدى سيث بعد الجولة التي قامت بها للوهلة الأولى على صدره، فيما كاد لسانها يتدلى من فمها المفتوح.

- أجل! تلطّخت قميصي حين بدأت أعد الشواء، ولم يكن تنظيف البقع سهلاً.

خلع سيث قميص البولو المقلمة التي كان قد ارتداها في وقت مبكر وقد أصبحت ملطخة ببقع سوداء.

- كنت في طريقي لتغيير القميص.

رطّبت أودرا شفتيها وقالت: «لا تدعني أؤخرك».

- تفضّلي! اعتبري نفسك في بيتك. سأكون هنا في لحظة.

- خذ وقتك!

قالت هذا أودرا في سرّها وهو يمشي إلى داخل غرفته، وكي تؤكد هذا، عادت وقالت له: «ربما من الأفضل أن تنقع القميص في مغسلة الحمّام قبل أن تصبح البقع عنيدة».

حين أمست أودرا وحدها تنفّست الصعداء، عازمة على التفكير بشيء غير كتفيه العريضتين. أجالت نظرها في المكان، ولفتت انتباهها هندسة الكوخ الداخلية. تماماً كما هو البهو الأساسي للمنتجع، كانت الأكواخ بحاجة إلى صيانة ضرورية وبعض الإصلاحات الجدّية.

بدا كوخ سيث نسخة طبق الأصل عن كوخها، بدءاً من طاولة الفورميكا ذات القوائم المصنوعة من معدن الكروم في المطبخ، والتي تعود إلى الأربعينيات، إلى الأريكة ذات القماش المخطط باللون الذهبي والكراسي المتناسقة معها في غرفة الجلوس الرئيسية. عرفت أودرا من الثرثرة التي دارت في ما مضى في الجزيرة أن سامي دافيس جونيور قطن

مرّة في هذا الكوخ. في الواقع، كل أعضاء «رات باك» استأجروا أكواخاً هنا في فصل الصيف في أواخر الخمسينيات. أقسمت أودرا أنها لا تزال تشمّ رائحة الدخان المتصاعد من سجائرهم والتي تتغلغل في القماش المنجد بينما هي جالسة. ليساعدها الله! أجبرتها الرائحة على الاستنشاق عميقاً. مضى أسبوع على آخر مرة دخّنت فيها سيجارة. بذلت أفضل ما عندها لتتجاهل رغبتها الجامحة في التدخين الآن.

بما أن التزيين الداخلي هو أحد هواياتها، سجل عقلها بعض الملاحظات بشأن الكوخ، الحداثة لن تنجح هُنا في قلب الغابة. ولا حتى المفروشات الخشبية المألوفة في المنتجعات ذات الطابع الريفي أكثر. لكن الأسلوب الرّث الأنيق سيكون خياراً جيّداً لهذه الغرف الباردة المطلية باللون الأبيض. مفروشات قديمة الطراز منجّدة بالأزرق والأخضر الفاتح. فهذان اللونان ينسجمان وألوان الطبيعة الحية ما إن تُزال الستائر.

كانت أودرا تلمس القماش الكثيف فوق النافذة الرئيسية حين عاد سيث، مرتدياً قميصاً بيضاء عادية، تركها منسدلة فوق سرواله مبرزة عضلات صدره العريض.

رفعت أودرا نظرها وركزت على نقطة خلف أذنه سيث اليسرى.

- إذاً، ما رأيك بالأكواخ؟

- إنها جميلة جداً. لكنني لم أتوقع أن تكون كبيرة. عليك أن تري المنظر من نافذة غرفة النوم لديّ.

أجفلت أودرا للحظة. هل كانت هذه دعوة؟ لكن سيث أكمل الكلام.

- يوجد نبع هناك. رأيت غزالين يشربان منه حين جئت إلى هُنا. ما يجعلني أتساءل عن السبب الذي منع البنائين من جعل اتجاه الأكواخ إلى الجهة الأخرى، ليجلس المصطافون على الشرفة ويستمتعوا بالمناظر الخلابة.

فكرت أودرا بالأمر نفسه حين كانت طفلة، لذلك ضحكت وشعرت

بالارتياح لأنها وجدت موضوعاً آمناً، غير إيحائي.

- أعرف ما الذي تقصده بالضبط.

لم ترَ أودرا هذا الجدول الذي يجري وراء كوخ سيث في الغابة، لكنها تتذكره من السنوات الماضية.

سألته: «هل يمكنك رؤية البحيرة؟».

- بالكاد أراها.

هناك الكثير من الأشجار، لكن ليس فيها الكثير من الأوراق، لذا يمكن أن يرى قليلاً من بين الشقوق.

- هناك الكثير من الجداول المماثلة على الجزيرة، ومعظمها يجف في منتصف الصيف. تأتي مياهها من الثلوج الذائبة والأمطار الموسمية. أما هذا الجدول، فهو على الأرجح متدفق من نبع أو من مياه بحيرة جوفية، لأنه يظل متدفقاً بقوة حتى في فصل الخريف. عندما كنا صغاراً داين وآلي وأنا، كنا نرتدي ثياب السباحة ونجري مع الجدول إلى حيث يصب في بحيرة ميشيغان.

- يبدو هذا ممتعاً.

قالت متذكرة الأيام الماضية: «نعم... كان كذلك».

لم تفكر أودرا بأيام الصيف الخوالي تلك منذ أمد طويل. في الواقع، هي لم تفكر بذكريات طفولتها الممتعة منذ سنوات طويلة. نوعاً ما، كان من الأسهل لها أن تركز على الأفعال الخاطئة والإساءات التي جرحتها. على مرّ السنوات، شحذت أودرا هذه الأخطاء لتحولها إلى أعذارٍ مباشرة لأفعالها المستهترة ولابتعادها.

- أودرا؟

صوت سيث أعادها إلى الحاضر.

- عذراً، أظنني شردت.

- كنتِ تعبسين. أتمنى ألا أكون قد ذكّرتك بأحداث غير مستحبّة.

رفع سيث حاجبيه، في إشارة منفتحة وداعية للثقة، فوضعت أودرا

يدها على ذراعيه، متأثرة باهتمامه الواضح.

- لا، أبداً! في الواقع، إنها ذكريات جيّدة. كنت أحاول معرفة سبب اختياري نسيانها والتركيز على تلك السلبية في المقابل.

تبصّر أودرا هذا أدهش سيث، ولم يعجبه. تمنّى أن يجعلها تقول كل أسرارها، وأن تعرّي روحها. أرادها أن تكون منغمسة بأفكارها ورغباتها، فلا تبدو مبهمة، لأن تلك المرأة الأنانية هي التي أراد عرضها. هي المرأة التي خطّط ديك ويلينغ أن يفضح أسرارها في كتابه الشامل.

أما الأمر الذي ضايق سيث فعلاً فهو أن لمسة يد أودرا العرضية الخاطفة على ذراعه تركت ملمس جلده ملتهباً كأنه يحترق. أودرا عدوّته! هي المرأة التي دمرت حياته! إلاّ أنه لم يستطع اجتناب هذا الانجذاب الذي يشعر به نحوها. إذا استمر الأمر على هذا النحو، فلا يستبعد أن يزداد انجذابه إليها كلما أمضى وقتاً أطول معها.

قال سيث: «من المستحسن أن ألقي نظرة على الدجاج».

تابع الحديث عن الدجاج فقال: «قرّرت أن أشويه».

- هل يمكنني المساعدة؟

وضع سيث ابتسامة قسرية على شفتيه وقال: «بالطبع! اسكبي العصير. اختاري لنا ما شئت منه».

حين غادر سيث، مشت أودرا إلى المطبخ وفتحت إحدى الخزائن، ثم عبست. حسناً! لم تتوقع أن تجد أكواباً من الكريستال، لكن الأواني غير المتناسقة بدت خياراً مخجلاً بصراحة لهذا النوع من المنتجعات. اختارت أقداحاً ذات زجاج خشن حفر عليها ثلم واضح ينطلق من قاعدتها السميكة. ثم سكبت فيها عصير الأناناس الذي عبقت رائحته في المكان.

انضمت إلى سيث في الخارج بعد لحظة. امتدت الشرفة على طول الكوخ ثم التفّت إلى الجهة الخلفية حيث يوجد باب يؤدي إلى المطبخ.

أما المشواة فهي خارج هذا الباب تماماً.

أعطت أودرا سيث أحد الكوبين، وسارت بسرعة باتجاه السياج الذي يحدّد الشرفة محاولة تجاهل حقيقة أن الدهان الأبيض يتقشر، وأن بعض الأعمدة التي تحمله باتت ركيكة. لطالما أحبّت منظر المفروشات القديمة المستهلكة، لكن هذا... حسناً... يبدو مكدّراً ومحزناً.

قالت وهي تنتزع إحدى قطع الدهان بأحد أظافرها: «كان هذا المنتجع ممتازاً في ما مضى».

قال سيث موافقاً: «لا شيء يدوم إلى الأبد».

- لا أوافقك الرأي. هناك أشياء لا تتأثر بالوقت، ومنتجع سايبروك أحدها. مع إدخال رأس المال واستعمال النوع المناسب من الأصناف...

اختفت بقية الكلمات على لسان أودرا وهي تنظر حول المكان، وما لبثت أن أردفت: «أحب هذا المكان. لا أظن أنني لاحظت هذا إلاّ الآن».

- المكان مختلف هُنا، وهو منعزل. لو لم يكن هناك تلفزيون وجرائد، لنسيت وجود العالم الخارجي.

كادت أودرا تختنق بالعصير. إذا كان سيث يشاهد التلفزيون ويقرأ الجرائد، فإن اكتشافه لهويتها ليس سوى مسألة وقت. ما زالت تفاصيل الهجوم عليها تُعرض على أخبار السي. أن. أن. بالطبع، بدت أودرا مختلفة الآن تقريباً مع شعرها المجعّد بخصلاته الأغمق لوناً وتبرّجها الخفيف، إلاّ أنها ليست مختلفة اختلافاً كبيراً. فضلاً عن ذلك، فإن استعمالها كنية جونز كاسم مستعار بالكاد يعتبر تمويهاً.

شعرت أودرا بالارتياح عندما أضاف سيث: «بالطبع، لم أقرأ جريدة أو أشاهد التلفزيون منذ فترة. أظن أنني لا أريد معرفة ما يجري في العالم الآن».

وافقته أودرا: «ما يجري محبط تماماً».

رشفت رشفة من العصير، وركزت نظراتها على حركات يدي سيث الرشيقة وهما تتعاملان مع ملقّطي نار من معدن لا يصدأ.

علقت ساخرة: «تبدو وكأنك تعرف ماذا تفعل».

- كل الرجال يتقنون عملية الشواء. أظن أنها عملية مطبوعة في حمضنا النووي.

- أحقاً؟ لا أذكر أنني قرأت ذلك في إحدى المقالات التي تتمحور حول البحث الجيني للإنسان.

اتجهت نظراته نحوها، وتقوس حاجباه. لو لم تكن دلائل المفاجأة التي ظهرت في تعبير سيث جارحة للمشاعر قليلاً لبدت مضحكة تماماً.

قالت بخفّة: «أعرف ما ستقوله. من المدهش أن تسترعي هذه الأمور شخصاً مثلي. كثيراً ما أسمع هذا. سمعت مرّة بالصدفة معلمة الرياضيات في الثانوية تقول للمرشد التوجيهي إنّ آلي هي العقل المدبّر في العائلة وأنا الفتاة الطائشة التي تحب المظاهر».

ضحكت بعد انتهاء كلامها، مع أن التعليق ما زال مؤلماً بالنسبة إليها. زاغت نظرة سيث في الاتجاه الآخر للحظة قصيرة قبل أن تعود إلى وجهها. لسبب ما، بدا لها... مذنباً!!

- أنا... أنا آسفة.

طردت أودرا فكرة الاعتذار من رأسها، وقرّرت أن تقدم خدمة لسيث ولنفسها معاً وتغيّر الموضوع.

- إذاً، كم من الوقت ستبقى على جزيرة ترليوم؟ ذكرت شيئاً عن تمديد إقامتك حين استأجرت الكوخ من أختي.

قلّب سيث ثلاث شرائح صدور دجاج قبل الإجابة.

- لستُ متأكداً من مدّة بقائي هنا.

- أليس عليكَ العودة؟

- ليس الآن.

ارتشفت العصير مجدداً، قائلة لنفسها لا بأس ببعض الفضول غير

الضار، ما جعلها تسأل: «ألن يشتاق إليك أحد؟».

لم تتغيّر تعابير سيث، لكن بدا كأن شيئاً ما فيه انتبه فجأة، وكأنّه خطا بعيداً عنها عِوضاً عن بقائه ثابتاً في مكانه تماماً.

أتراها تخيلت هذا؟ فكرت أودرا، حين ألقى بملقطي اللحم جانباً وأخذ كوب العصير وارتشف منه رشفة عرضيّة.

- لا!

قبل أن تنفعل أودرا لرده المقتضب، وجه سيث السؤال لها.

- ماذا عنكِ؟ قلتِ لداين إنك ستبقين هنا لمدة غير محددة. أذكر أنك استعملت عبارة «على قدر ما يتطلب الأمر». وهذا يفتح المجال لمدّة لا تنتهي. هل هناك شخص مميز في الجزيرة على علاقة بهذا؟

- لا! لا أحد. وهذا على ما أعتقد يشكّل أحد أسباب عودتي إلى ميشيغان.

علّق سيث: «يبدو أنك غبت لمدة طويلة».

- عشر سنوات.

- ألم تعودي قبل هذه المرّة؟

- لا! فعلت... فعلت شيئاً... حسناً! في الواقع، جعلت أختي تعتقد أنني فعلت شيئاً قذراً حين غادرت المكان هنا. كنت حينها في العشرين من عمري...

لامست نظرات أودرا سيث متجاوزة إياه إلى الغابة وهي تضيف: «كنت حمقاء».

ثم ضحكت بنعومة بالرغم من أن الصوت الذي رافق ضحكتها لم يحمل أي حبور. آه! لكم تمنّت أن تعيد السنوات وتمحو كل الأخطاء والاختيارات الحمقاء.

- على كل حال، رجعت آملة أن أتصالح معها.

- وكيف تسير الأمور؟

سأل سيث عرضياً، بالرغم من أن أودرا تصوّرت أنه يعرف، لأنه كان

موجوداً في المناسبتين معاً حين التقت بأختها. وقبل أن تستطيع الإجابة، أضاف: «عذراً... هذا حقاً ليس من شأني».

هزّت أودرا كتفيها: «لا عليك. حياتي كتاب مفتوح».

نعم، فعلاً! لكن ذكاء سيث جعله يبقي نظرته مركّزة على الدجاج الذي يصدر صوتاً من جرّاء الشوي، لئلا تفضحه نظراته. مع ذلك، تمنى أن تكمل حديثها، ولم تخذله...

- لا تسير الأمور على ما يرام، لكنني لن أستسلم أو أرحل. أخبرت داين أنني سأبقى هنا بقدر ما يتطلب الأمر وقد قصدت هذا، فهذا مهم جداً لي. ألم تصادف موقفاً كان عليك أن تنهيه بغض النظر عمّا يتطلّب ذلك منك؟

أجاب سيث من دون تردد أو مراوغة: «نعم».

- يجبرك الأمر على ذلك.

- بالضبط. هل يمكنني أن أسأل، من دون التدخّل كثيراً، أعني... ليس عليك قول التفاصيل، لكنني فضولي... لماذا يبدو الأمر مهماً بالنسبة لكِ؟

أدرك سيث أنه لم يكن يريد معرفة الجواب بهدف نشره، إنما يريد معرفته بسبب فضوله الحقيقي.

حرّكت أودرا العصير في أسفل كوبها بحركة دائرية قبل أن تجيب: «دعني أقول إنني مررت حديثاً بتجربة بدّلت حياتي تبديلاً جذرياً، لكنني، حتى قبل ذلك، أعدْتُ تقييم أولويّاتي وشعرت بالندم على الكثير من الخيارات التي اتّخذتها خلال السنوات الماضية».

- والآن تريدين أن تبدأي من جديد... لذا جئت تطلبين السماح.

- نعم.

- هذا ليس ممكناً دائماً. تعرفين ذلك.

تمنّت أن يكون هذا رأياً يقدمه سيث فحسب، لا حقيقة لطالما تردّدت له وقادته في السنوات الماضية.

فاجأته أودرا عندما هزّت رأسها موافقة.

- أعرف. حتى لو سامحتني آكي في النهاية، وكل الناس الذين جرحتهم، لست متأكدة من أنني قادرة على مسامحة نفسي.

هذا الاعتراف الهادىء لامس سيث في الصميم... ولم يعجبه.

ابتسمت أودرا بارتباك فيما خيم الصمت عليهما، قبل أن تكسر هذا الصمت بقولها: «ألست فرحاً لأنك دعوتني للعشاء؟».

- العودة إلى الديّار تكون أحياناً صعبة.

أجابها سيث بهزة من كتفه، كابحاً أحاسيسه.

بالرغم من هذا، بدت تعابير أودرا مليئة بالامتنان، ما جعل سيث غير مرتاح حين أضافت: «نعم، لكنك تجعل عودتي أسهل، فشكراً لك».

بعد مرور ثلاث ساعات، أنهيا تناول وجبتهما وجلسا في غرفة الجلوس يتناقشان في مختلف المواضيع التي تخطر على البال. على الرغم من رغبة سيث بأن تختفي أودرا عن وجه الأرض تماماً، إلا أنه لم يرغب في السماح لها بالذهاب. هذا التناقض المحيّر أقلقه.

لم يشأ أن يعترف بهذا، لكن في الواقع، مرت أوقات خلال الأمسية، شعر فيها بالمتعة، وليس بسبب تجميعه معلومات مرضية عن ماضي أودرا ليقدّمها لويلينغ فحسب. بدت أودرا مختلفة كلياً عن تلك المرأة التي شاهدها من وراء عدسة آلة التصوير على مرّ السنتين الماضيتين.

إن رفقة أودرا مسلية. هي ليست كوميدية مضحكة، لكنها جعلت سيث يضحك بصوت مرتفع أكثر من مرّة وهي تسرد بعض الأشياء السخيفة التي كانت تقوم بها مع أخيها وأختها في مرحلة الطفولة. من الأقاصيص التي حكتها، بدت طفولتها عادية تماماً، بل إنها شبيهة بطفولة سيث تقريباً، لا سيّما قبل وفاة أبيه. راحت تتكلم بشغف عن أهلها وأجدادها ومجموعة كبيرة من أولاد الأعمام الذين يقيمون على البر الرئيسي. إلاّ أن سيث بين كل لحظة وأخرى، لاحظ شيئاً أشبه

بظل أسود محيّر يخيّم على كل الأوقات الفرحة.

بدا واضحاً لسيث أيضاً أنه بقدر ما تحبّ أودرا أختها التوأم، يبقد ما هما على تنافس، وذلك ليس باختيارهما أيضاً. فهم سيث من كلامها أن الجميع كانوا يعتبرون آكي الفتاة «الجيدة» «الذكية»، وأنهم جعلوها مثالاً أعلى تهتدي به أودرا. نظرة واحدة إلى هاتين المرأتين جعلت سيث يدرك أن لا مجال لإقحام شخصية إحداهما في قالب الأخرى. إنهما ببساطة مختلفتان جداً.

مختلفة! فكّر سيث بذهول وهو يسمع كلام أودرا الآن. بالإضافة إلى الفطنة التي تنكرها على نفسها، فإن أودرا ذكية. أدهشته حقيقة حصولها على الإجازة الجامعية بهدوء عن طريق المراسلة من جامعة محترمة. من جهة أخرى، بدت أودرا محدّثة لبقة مثيرة للاهتمام، فهي جيدة في السياسة إلى حدّ لم يتوقعه سيث، بغض النظر عن صداقتها المتينة مع تيمبست هريمان وريثة سلسلة الفنادق التي تحمل هذا الاسم، والتي أصبح زوجها عضواً في مجلس الشيوخ الأميركي اليوم. مع أنها صرّحت في بداية الأمسية أنها تجد الأخبار «محبطة جداً» بدا واضحاً أنها تقرأ الصحف بانتظام. فكون أودرا متعلمة وقارئة جيّدة أمر لا يمكن تزويره.

هل أساء سيث الحكم عليها؟ تردّدت الفكرة في رأس سيث، بالرغم من أنّه حاول بلا رحمة نزعها من ذهنه، إلا أنها غاصت عميقاً، تماماً مثلما فعل عبقُ عطرها.

حين انتهت الأمسية، أصرّ سيث أن يرافق أودرا إلى كوخها مشياً.

- أظنني أستطيع السير مسافة ثلاث ياردات في الظلام وحدي.

قالت أودرا بنبرة جافة حين لحقها سيث إلى أسفل الأدراج الخشبية الثلاث من الشرفة الأمامية للكوخ.

- اعتبريني قديم الطراز.

أليس من الغرابة أن أودرا بدت هي نفسها قديمة الطراز أيضاً؟ وبينما

هما يمشيان بهدوء إلى أسفل الطريق، وضعت أودرا قبضتي يديها في جيبي معطفها الجينز كما لو أنها قلقة من محاولة سيث للمس يدها.

حين بلغا شرفتها، صعدت خطوة واحدة قبل أن تتوقف فجأة وتستدير لتواجهه. أخرجت يديها الاثنتين من جيبها لتضعهما على سياج الشرفة من الجهتين. بدت هذه الحركة تلقائية لكنها قطعت طريقه فعلياً.

- حسناً! لقد وصلنا.

بعدئذٍ أطلقت زفرة قوية، فيما أحاط بها هواء بارد قارس، ساخراً من وضعيتها اللامبالية. بدت أودرا أطول من سيث بحوالي ستة إنشات وهي منتعلة ذلك الحذاء ذا الكعبين المرتفعين وواقفة على الدرجة الأولى. تحرك سيث ليصعد إلى جانبها مقنعاً نفسه أنه يقوم بذلك فقط بهدف الاستفادة من طوله. رفع جسمه ببطء وانضمّ إلى أودرا على الدرجة نفسها.

كرّر قائلاً: «ها قد وصلنا!».

أصبحت أودرا الآن مجبرة على النظر إلى الأعلى كي ترى وجهه. سرت ارتعاشة في جسمها قبل أن تبتعد عن سيث وتمسك بالسياج جيداً كي تحافظ على توازنها.

تلعثمت وهي تقول: «شكراً... على العشاء مجدداً. كان فعلاً... شهياً».

أخرجت أودرا الكلمة الأخيرة التي بدت أشبه بتنهيدة. تساءل سيث، كيف يمكن لأمرأة تزوجت بثلاثة رجال وتعيش تقريباً مع آخر، أن تتصرف بعصبية وتردّد؟

تذكّر العناق التي تشاركا به على شرفة داين. حسناً! لم يخطط سيث لمعانقتها مجدداً. وهو بالطبع، لم يخطّط لذلك في المرة الأولى. لكن الآن... هنا... وهو يقف بقربها تماماً... أقسم أنه، بغض النظر عن نبضه السريع وهيئته المرتبكة، لن يخفض رأسه ويعانقها.

لا! لن يفعل... لن يخفض رأسه...

تبخر قسمه ما إن مال بذقنه إلى الأسفل، مدفوعاً بشوق أقوى من المغناطيس. كان في طور إقفال عينيه مثل مجنون حبّ حين صعدت أودرا بسرعة الدرجة الثانية والثالثة. لم يدرك إلا حين وقفت أودرا في الأعلى، وعيناها مفتوحتان على اتساعهما، وقد بدتا لامعتين مضيئتين تحت ضوء القمر، أنه فعل ذلك للمرة الثانية في نهار واحد.

أمالت أودرا رأسها لتظهر الاعتذار: «عمت مساءً، سيث. أراك غداً».

أجبر سيث نفسه على الابتسام: «اعتمدي على هذا».

في تلك الليلة، وفي الوقت الذي كان جاي لينو يعرض خطابه المطوّل على برنامج «العرض المسائي»، طلب سيث رقم ديك ويلينغ على الهاتف الخلوي، وجلس على الكنبة. قام بتأجيل هذه المكالمة مرة بعد أخرى، لكن بعد ليلته مع أودرا أراد أن يتذكر سبب مجيئه إلى هُنا.

همهم الرجل الآخر بغضب: «مضى أسبوع ولم أسمع منك أي كلمة، سميثفيلد. يقول وكيلي إن الناشر يريد رؤية نماذج من الصور التي ستقدمها قبل أن يرفع السعر الذي يعرضه. ماذا لديك لي؟ ومتى ستصبح المعلومات عندي؟».

يجدر بهذا الخبر أن يجعل قبضة سيث ترتفع انتصاراً في الهواء، لكنه لم يشعر بالانتصار. بل إنه، ويا للغرابة! شعر بصراع في داخله، وهذا أمر سخيف حقاً!

- لدي بعض اللقطات الجيدة. وما هو أفضل من هذا، معلومات غير مسبوقة. سأرسل لك الوثائق كلها حين تنتهي. أفضّل ألا أرسلها بالتقسيط.

صاح الرجل الآخر: «لا أعطي أي أهمية لما تفضّله! أحتاج إلى شيء الآن. على الأقل، أرسل لي صوراً من الأرشيف عبر البريد الإلكتروني كي أرسله بدوري إلى وكيلي».

- أمهلني شهراً واحداً.
- شهر واحد! هل أنت مجنون؟
وعده سيث: «ستكون الوثائق كلها قيّمة».
قطع سيث الاتصال على شتائم ديك اللاذعة.
ما الذي كان ينتظره؟ لديه بعض الصور الجيّدة، وهو المصور الوحيد الذي يعرف مكان أودرا... يمكن لسيث أن يحصل على كل ما يريده مع نهاية الأسبوع بسهولة. بالرغم من هذا، ساوره شعورٌ أنّ هناك الكثير من أودرا أكثر ممّا وثّقه حتى الآن.
هناك أسرار أكثر يجب أن تكتشف...
الصور تخبر القصّة!
نظر سيث عبر الغرفة نحو آلة التصوير. خلال الأسابيع التالية، سوف يرسل الكثير الكثير من الصور.

٧ - من أنت؟

استلقَت أودرا باسترخاء على الفراش الليّن. كانت الغرفة لا تزال غارقة في الظلام لكن أشعة الشمس تسللت إليها من شق بين الستائر الكثيفة التي تغطي النافذة. نظرت إلى الساعة الموضوعة على الطاولة إلى جانب السرير الحديدي، وطرفت بعينيها. بالطبع! يجب أن تكون مخطئة. فالساعة ما زالت السابعة والربع فحسب.
قلما كانت أودرا تستيقظ قبل الساعة العاشرة، وهي الساعة التي تعتبرها ساعة ملائمة للاستيقاظ. إلاّ أنها عوضاً أن تتدحرج على ظهرها وتدسّ رأسها تحت الوسادة، وجدت نفسها تزيل الأغطية عنها وتهب واقفة. كيف يمكنها أن تبقى في السرير وهي تسمع زقزقة الطيور من خارج نافذتها لأوّل مرة منذ سنين كثيرة؟
أليس عجيباً أن تشعر بالارتياح والتيقّظ، مع أنها وجدت صعوبة في النوم بعد تركها لسيث في الخارج على شرفتها في الليلة السابقة؟ ما زالت غير مصدّقة أنها ركضت إلى كوخها كفتاة عذراء مرتجفة بعد أن اصطدم جسمه الضخم الدافىء بجسمها.
ما سرّ ذلك الرجل الذي يجعلها متوترة بشدّة ومرتبكة في كل خطوة تخطوها؟ بالطبع! سيث رجل وسيم جداً، لكن كذلك كان الكثير من الرجال الذين التقتهم في هوليوود على مرّ العقد الماضي. لا شك أن الأمر لا يتوقف عند حدود المظهر. لربّما هي الطريقة التي ينظر إليها بها، وكأنه يتعدى حدود السطح ليرى المرأةالكامنة في داخلها.
في الحمام، تفحّصت أودرا وجهها الخالي من مساحيق التجميل في

المرآة فوق المغسلة. رأت العظام العالية لخدي أمها وعيني أبيها الزرقاوين المائلتين إلى اللون الأرجواني الخفيف. للمرة الأولى منذ أعوام أجبرت نفسها على تذكّر كل الطرق التي خيّبتهما بها. إلاّ أنهما، تماماً مثل داين، يقولان لها في كل رسالة وكل بطاقة وكل اتصال هاتفي إنهما يحبانها، ويطلبان منها العودة إلى الديار.

أما حان الوقت لتفرحهما؟

غسلت أودرا وجهها بسرعة وربطت شعرها إلى الوراء كذيل الحصان، ما ذكرها بالتسريحة التي تفضّلها آلي. فتّشت في أدراج ثيابها عن ثياب اليوغا المريحة التي وضّبتها في اليوم السابق. فوقها، لبست كنزة سميكة عالية القبّة تتلاءم مع الصباح الربيعي البارد وعنقها الذي يحمل آثار الرضوض. ستذهب في نزهة مشياً على قدميها وليس على آلة المشي كما أنها لن تسير في دوائر داخل الكوخ. أرادت أن تخرج إلى الهواء الصباحي الناشف، لتتنشق رائحة الأرض الرطبة الممزوجة بروائح الأزهار البرية المتفتحة حديثاً.

من نافذته، رأى سيث أودرا تنزل الدّرجات الثلاث على مهل وعلى وجهها ابتسامة. أحدهما نام جيداً! فكّر سيث الذي استفاق بمزاج غير مستقر.

أما هو فبقي ساهراً حتى الساعة الثانية صباحاً محاولاً اكتشاف لعبة أودرا، والسبب الذي يجعله يقع في حبها. ثم وبعد ساعات من النوم المتقطع، قرّر أن يستيقظ ويحضّر القهوة. كان قد سكب فنجانه الثالث لتوّه حين رآها.

أخذ آلة التصوير النيكون من خزانة غرفة نومه، وهرع إلى خارج الباب وأربطة حذائه غير مربوطة بعد، وقميصه غير مدسوسة تحت حزام سرواله.

إلى أين هي ذاهبة؟ بدا كأنها تتوجه إلى هدف معين. راحت تمشي بخطوات واسعة هادفة على الطريق المرصوف بالحصى. تراجع سيث

ليبقى خارج نطاق نظرها، فلربما خطر لها أن تنظر وراءها. توغّلت أودرا داخل الغابة، ولم تترك له أي خيار إلاّ اللحاق بها إذا أراد تسجيل ما دفعها لتستيقظ في وقت مبكر جداً.

أتراها ستلتقي بأحدهم؟ أهو رجل؟ اهتاج الغضب في داخله لهذه الفكرة، وأصبح متوتراً هائجاً وهو يشق طريقه إلى الغابة.

راحا يسيران في ممرّ وعر نوعاً ما، كما أدرك سيث. بدا المكان مليئاً بالأعشاب، لكنه لن يبقى سالكاً في فصل الصيف حين تنبت أعشاب الخنشار والنباتات الصغيرة الكثيفة الشائكة.

بدت أودرا مصممة على الوصول إلى غايتها، شاقّة طريقها بالكعبين المطّاطيين لجزمتها.

توقفت فجأة، على بعد خمس ياردات منه، ما جعل سيث يجلس القرفصاء على طرفي قدميه. كمصوّر، أمضى سيث الكثير من الأوقات في هذه الوضعية، وبالتالي ظل توازنه مستقراً حين رفع آلة التصوير واستعمل عدستها المكبرة ليلقي نظرة قريبة. الابتسامة البطيئة التي أمالت شفتي أودرا جعلت فم سيث جافاً.

كليك!

ضغط سيث بإصبعه وسجل اللحظة، غير مدرك السبب الذي جلب لها هذا الفرح النقي، إلاّ حين عرض الصورة على خلفية آلة التصوير.

أزهار برية! ظهرت تلك الأزهار البيضاء كثيفة حول رجليها. إنها ترليوم! عرفها سيث على الفور، ملاحظاً أوراقها الثلاث ذات الرؤوس. ما من حانوت على الجزيرة إلا ويعرض صورة إحدى هذه الأزهار. علا العبوس وجهه وهو يتساءل: هل خرجت أودرا في مثل هذه الساعة المبكرة لتنظر إلى الأزهار البرية؟ ثم سمعها تمشي على نعليها، فتحرك بحذر كي يلحق بها.

أدى بها الممر إلى منطقة منعزلة على الشاطىء بالكاد يبلغ عرضها عشرين ياردة، تمتد بعدها البحيرة الواسعة ذات المياه الساكنة الجميلة

التي تبدو لامعة كالزجاج تحت نور الصباح.

وراحت المياه تطفو بنعومة على الشاطىء بإيقاع مريح، بينما وقفت أودرا بهدوء، وهي تميل برأسها إلى أحد الجانبين، كأنها تتلقى قبلة الشمس اللطيفة. رفع سيث آلة التصوير، لكنه تجمد في مكانه. بإمكانه أن يحظى بلقطة لوجه أودرا الجانبي من مكان اختبائه، لكن عيني أودرا بدتا مطبقتين فيما لمع شيء ما على خديها. أهي دموع؟

أخفض سيث آلة التصوير... يا للغرابة! وجد نفسه متردّداً في التقاط صورة لأودرا، متسائلاً ما إذا كان له الحق في التدخل في لحظة تبدو لسبب غير منطقي لحظة خاصّة، في الوقت الذي لم تكن المقاطعة بين أودرا وابن زوجها كذلك. أخيراً نزع سيث وميض ضميره، ورفع آلة التصوير إلى عينيه مجدداً، وبدأ بالتصوير.

بعد ست لقطات استدارت أودرا، وعرف سيث متى بالضبط تمكنت من رؤيته، حتى على بعد مسافة الثلاث والخمسين قدماً التي لعبت دور الحماية. لاحظ سيث على الفور حذر أودرا المفاجىء الذي غيّر وضعيّتها المريحة.

- صباح الخير.

صاح سيث ملوّحاً بيده ثم ابتسم. بدأ فكره يضجّ بأعذار وجيهة لوضعيته كمصور وهو يتقدم إلى حيث تقف.

مسحت أودرا دموعها خفية عن خديها. بدا وجهها متورداً من حدّة الهواء، كما بدا واضحاً لسيث الآن أنها لم تأتِ لتلتقي رجلاً. لا! فمع أن ضوء النهار قد بزغ منذ بضع ساعات فقط وشروق الشمس لن يكون ساطعاً في هذه البقعة من الجزيرة على كل حال، أتت أودرا إلى هذا المكان المنعزل لتحيي الصباح.

لم تكن تضع أياً من مساحيق التبرّج على وجهها، باستثناء خط كحل رفيع على عينيها، ولم تضع من المجوهرات إلا زوجاً من الأقراط الذهبية الناعمة. اللباس العادي وتسريحة الشعر البسيطة جعلاها تبدو أقرب إلى

عمر العشرين منها إلى عمر الثلاثين الذي يقدره لها سيث. لربما يفسّر هذا سبب إحساسه المفاجىء بأن أودرا تحتاج إلى حماية أكثر من استحقاقها الإهانة.

سألت أودرا: «ماذا تفعل هنا؟».

تغيير بسيط في الحقيقة بدا دفاعه المنطقي الأنسب، فقال: «ألتقط بضع صور للطبيعة. إنه صباح رائع! أظن أنني رأيتك في الغابة فلحقتُ بكِ. أرجو ألا أكون قد أفزعتك الآن».

- لا.

لكن نظرتها الحذرة بقيت مركزة على آلة التصوير.

- هل التقطت صورة لي؟

- نعم.

- لماذا؟

- امرأة جميلة.. تنظر إلى بحيرة جميلة.. في صباح جميل!

هزّ سيث كتفيه عرضياً ثم أضاف: «بدت فكرة جميلة».

قالت أودرا: «أنت تملك آلة تصوير محترفة».

- وغالية الثمن.

قال سيث ذلك موافقاً، معتقداً مجدداً أن التغيير في الحقيقة سيكون هو الأفضل، ثم تابع: «تخصّصت في التصوير الصحفي في الجامعة. أردتُ العمل لمجلّة «سبورتس إلاستراتيد» حين تخرجت. أردت أن أصور مشاهير الرياضة، لا بذلات السباحة. أتفهمين قصدي؟».

بعدئذٍ ضحك سيث، فما قاله هو جزء من الحقيقة. ذلك أنه حتى عمل مع فريق مصوري صحيفة التايمز في لوس أنجلس ما إن تخرج من الجامعة، حيث التقط مختلف أنواع الصور بدءاً بالحرائق التي تصيب المنازل إلى حوادث السير بالإضافة إلى اللقطات التي تؤخذ للشخصيات في الاستوديو. إلا أنه على مرّ السنين اللاحقة صنع اسماً لنفسه بفضل صوره المرفقة بمعلومات تعرّف عنها. فلطالما كانت هذه

طريقه: الصور تخبر القصّة.

- وهل تعمل في مجلة «سبورتز إلاستريتيد» الآن؟

- لا!

- لكنك مصوّر. يبدو أنها أكثر من مجرد هواية كما ادعيت البارحة.

بدا مزاج أودرا متصلباً حين سألت سيث: «هل تعمل لمجلة؟».

- كنت كذلك، لكنني توقفت الآن. جرّبت الأمر لفترة، لكنني وجدت أن العمل لأشخاص آخرين، والالتزام بوجهة نظرهم لا يناسبني. أظن أنني بحاجة إلى حرية فنية أكثر بقليل.

هذه أيضاً ليست كذبة حقيقية. وجد سيث أن ممارسة القمع على حرفته تجعله محدوداً جداً، لا سيما تحت إشراف محرّر يقيد عمله ليحصره في عمودين لا يكفيان لتوضيح موضوع الصور.

تساءل سيث الآن: أكان سيترك صحيفة التايمز لو لم تجبره الحادثة على إظهار نيّاته؟ لم يكن طبعاً سيجرّب تصوير المناظر الطبيعية، إلاّ أنه استمتع تقريباً بالعمل الذي قام به كغطاء لهدفه الحقيقي البارحة وهو في طريقه إلى منزل داين.

- إذاً، ماذا تفعل؟

أخذ سيث نفساً عميقاً، وكادت تلك أن تكون لحظة الحقيقة. للحظة مجنونة أرادها أن تكون كذلك، لكنه أجاب بمراوغة: «قليلاً من هذا وقليلاً من ذاك. ذكرتِ الليلة الماضية أنك صادفتِ تجربة غيّرت حياتك. يمكنك القول إنني صادفت إحدى هذه التجارب منذ سنتين. وفي هذه الآونة، أنا على مفترق طرق تقريباً. لستُ متأكداً ما الذي سأفعله في حياتي أخيراً، وهذا يجعلني من دون عمل محدد، لكن لدي بعض الأهداف».

أحدها كان يقف أمامه. راح سيث يتلاعب بزر التشغيل منتظراً. هل ستتوقف عن طرح الأسئلة؟ هل ستسأل أكثر فتجبره على الكذب أكثر؟ لسبب ما، ضايقته تلك الفكرة.

بدا تعبير أودرا مليئاً بالحسرة حين علّقت: «أظن أنني على مفترق طرق أيضاً».

اقترح سيث بلطافة: «ربما يمكننا اختيار جهة ما والسفر معاً لفترة معينة.. على الأقل إلى حين اكتشاف مصيرنا».

- ربما!

حين لم تتلفظ بأي كلمة أخرى، قال سيث: «هذا مكان جميل. يبدو واضحاً أنك تعرفين مكان توجّهك».

- كنتُ أرتاد هذا المكان كثيراً حين كنت في الثانوية.

- لتفكري؟

- أحياناً.

ثم ابتسمت، فبدت كالمرأة اللعوب التي اعتاد التقاط الصور لها.

- أظن أنها بقعة رومنسية جميلة. كنا نأتي بالبطانيات ونشعل النار، وبعد غروب الشمس، كنا نتأمل النجوم في الليالي الصيفية الدافئة.

سأل سيث بهدوء: «أهذا كل شيء؟».

- كلا، لكن هذا ما سأعترف به.

ضحكت أودرا مجدداً، بطرافة هذه المرة.

قال سيث في سرّه: من المؤكد أنك كنت تعبثين مع الرجال هنا.

تبخرت روح الفكاهة التي رآها منذ لحظة، وفركت أودرا ذراعيها في كنزتها السميكة.

- أتشعرين بالبرد؟

- قليلاً. نسيت أن الطقس أكثر برودة في الطبيعة.

- هاكِ!

أعطاها سيث آلة التصوير التي هي مصدر رزقه، وخلع معطفه، ثم وضعه حول كتفيها.

- هل هذا أفضل؟

- نعم.

نظرت أودرا إليه نظرة حادّة كأشعة اللايزر، فغمره شعور بالحذر، بدا أشبه بفيض من شرارات... غير مؤلمة تماماً لكنها خطيرة.

بالرغم من هذا، لم يبتعد عنها، بل استعمل اليدين اللتين ما زالتا تمسكان بمعطفه ليجذبها نحوه ببطء. أحنى سيث رأسه.. وعلى الرغم من التحذير الذي وجهه لنفسه ليكبح هذا الإلحاح المجنون الذي يجتاحه كلما كانت أودرا قريبة منه، إلا أن تحذيره لذاته ذهب أدراج الرياح. قربها منه وعانقها، فانصهرا معاً، وضاع سيث في ذلك العناق. أفلت قبضتيه عن المعطف ليلفّ ذراعيه حولها، ارتفعت إحدى يديه على مهل إلى شعرها فحله من الربطة لينسدل على كتفيها، أما اليد الأخرى فتحركت إلى داخل المعطف الذي وضعه على كتفيها ليشدها إليه أكثر، إلاّ أن شيئاً اعترض طريقه وحال دون ذلك. شيء حاد الأطراف وثابت في مكانه. نظر إلى الأسفل وأدرك أنها آلة التصوير التي لا تزال تستريح في يديها.

أطلق سيث زفرة حادة أرفقها بشتيمة خافتة وهو يترك أودرا. نعم... بالفعل... شيء ما فرّقهما.

تمتمت أودرا: «آه!».

ثم وضعت آلة التصوير في يد واحدة، واستخدمت اليد الأخرى لتشد المعطف فوق كتفيها بوقار. لم يستطع سيث تمالك نفسه، فساوره شعور برضى فظيع لمعرفته أنه تمكن من التأثير بعواطفها كما فعلت هي به في المقابل.

- سأعتبر هذا مديحاً.

- هذا ما يجدر بك فعله.

مررت أودرا يدها بنعومة على شعرها قبل أن تسأله: «من أنت حقاً، سيث ريدلي؟».

أفزع هذا السؤال سيث.

- ماذا تعنين؟

- أحياناً، أشعر أنني أعرفك. يبدو هذا جنوناً، فقد التقينا لتوّنا.

جنون! نعم، لأن سيث راقبها عن كثب للسنتين الماضيتين، وأحسّ فجأة أنه لا يعرفها أبداً.

همس سيث تقريباً لنفسه: «تبدين مختلفة جداً».

بدت أودرا حذرة مجدداً: «لمَ تقول هذا؟».

أجبر سيث ابتسامة أن تظهر على وجهه، وحضّر إجابة. مرّة أخرى، تلاعب بالحقيقة: «الأمر هو... حين رأيتك لأول مرة، مرتكزاً على المظهر فحسب... أتفهمين؟ ظننت أنك ستكونين... لا أعرف.. مختلفة».

أصرّت أودرا: «مختلفة؟ كيف؟».

- مختلفة فحسب.

- هل اعتقدت أنني سأكون سطحية. لربما منطوية قليلاً على نفسي؟

هزّ سيث كتفيه، لكنه بقي صامتاً. لم يثق بنفسه كي يتكلّم.

اعترفت أودرا: «أنا كذلك. أو... ربما كنت كذلك. أتمنى أن أبقي هذه العبارة في صيغة الماضي».

- أهذه نتيجة غير متوقعة للتجربة التي غيّرت حياتك؟

- نعم.

ضحكت أودرا كأنها ممتنة لأنه فهم: «أنا في طور إعادة تكوين نفسي. امرأة جديدة بأفكار جديدة!».

نظر سيث وأودرا إلى بعضهما بصمت لبضع دقائق قبل أن يأخذ آلة التصوير من يدها قائلاً: «دعيني أسجل التحول، إذاً».

اتسعت عينا أودرا بدهشة: «الآن؟».

- أبدو... شعري...

- تبدين جيّدة. هيا... أيتها المرأة الجديدة ذات الأفكار الجديدة.

قال سيث هذا مداعباً: «دعيني ألتقط صورتك، وسوف أعطيك نسخة عنها لاحقاً».

www.elromancia.com

- وهل ستتلف الفيلم؟

كانت آلة التصوير هذه رقمية، لذا لم يكن يكذب حين قال: «لن يكون هناك فيلم. أعدك».

التقط لها سيث ثماني صور قبل أن تنبس أودرا ببنت شفة اعتراضاً، لكنها بدت غير مرتاحة ومتحفظة بشكل غريب، فأخفض سيث آلة تصويره، آملاً أن يجعلها تشعر بالارتياح. بعدئذ سارا إلى الشاطىء وبعد بضع دقائق، تمكنت أودرا من الاسترخاء.

- انظر!

انحنت أودرا وأمسكت حجراً يميل لونه إلى الرمادي، وقالت لسيث: «هذا حجر بيتوسكي».

مشت إلى حافة البحيرة وغطّسته في المياه الباردة. التقط لها سيث ثلاث صور قبل أن تعطيه إياه.

- أرأيت؟

خطا سيث إلى الأمام لينظر إليه عن قرب. بدا الحجر أشبه بقرص العسل، فسألها مفتوناً بعد أن تبلل بالماء: «لمَ يبدو هكذا؟»

- إنه مرجان متحجر منذ ملايين السنين. كنت أملك جرّة مليئة بأحجار البيتوسكي حين كنت صغيرة.

فركت أودرا سطح الحجر الناعم بقوة قبل أن تسلّمه لسيث.

- خذ! احتفظ به. يقال إنه يجلب الحظ السعيد.

أجاب سيث: «أنا لا أؤمن كثيراً بالحظ. ماذا عنكِ؟»

- كنتُ مؤمنة كبيرة، لكن لا.. ليس الآن.

ارتفعت إحدى زاويتي فمها في ضحكة تهكميّة.

- لطالما أصرّت آلي على القول إننا نصنع حظّنا بالعمل الشاق. تطلّب الأمر مني وقتاً طويلاً لأكتشف أنها محقّة. لا شيء في الحياة يأتينا مجاناً، أليس كذلك؟

- نعم.

وضع سيث حزام علبة آلة التصوير على إحدى كتفيه، وبدا غير مرتاح للمنحى الفلسفي الذي اتخذه حديثهما.

- بدأت أشعر بالجوع. أظن أنني سأعود لأتناول الفطور. هل ستأتين؟

- في الواقع، أظن أنني سأمشي لبعض الوقت.

دفع النسيم شعر أودرا الذي أسدله سيث على وجهها، فأرجعته إلى الخلف لتلاطف الشمس الجهة العليا لخدّها. يا الله! هي جميلة جداً، وبدت مخلصة جداً في رغبتها للتغيير. وجد سيث نفسه يتساءل في سره: هل ذلك ممكن؟.

- صالة الطعام في المنتجع تبقى وقت الفطور مفتوحة حتى الساعة الحادية عشرة. هل... هل تحبّ أن ترافقني لفترة أطول؟

على الرغم من ارتباكه، هزّ سيث رأسه: «بالتأكيد».

فكر أنه يتصرف كالأحمق، لكنه مع ذلك خطا إلى جانب أودرا. سارا على طول الشاطىء بصمت قبل التوجه مجدداً إلى الممر في الغابة.

بعدئذٍ قدّم لها الأعذار لعدم قدرته على تناول الفطور معها. أراد أن يريح فكره، وهو لا يستطيع فعل هذا وهي تقف بجانبه، تزاحم عليه أفكاره وتجعله يعيد التفكير بالسبب الذي دعاه إلى القدوم إلى ميشيغان في الدرجة الأولى.

في الأيام التي تلت، وبالإضافة إلى النزهة التي كان سيث وأودرا يقومان بها من دون كلام إلى حافة البحيرة ثم يعودان إلى الغابة، كان سيث يراقب أودرا من مسافة معينة. التقط لها الكثير من الصور؛ وهي تطأ بقدميها أرض المنتجع الخصبة، وتقود سيّارتها إلى البلدة لتجلب بعض البقالة أو لتذهب إلى بيت أخيها المطل على البحر. كل ليلة، كان سيث ينقل ما جناه من صور من بطاقة الحفظ في آلة التصوير إلى كومبيوتره المحمول، محرّراً وجامعاً الصور قبل تخزينها على القرص المضغوط. لم تكن أياً من هذه الصور تماماً كما أرادها سيث.

بالكاد بدت أودرا المرأة التي لُقّبت في المجلات الصغيرة «بأودي المشاغبة». الأمر يتعدى حدود الشعر الأغمق والمشابك بالإضافة إلى التبرج الأخف أو غير الموجود أساساً. يريد سيث أن يلتقط صوراً لأودرا وهي تمشي متكاسلة بتنورتها القصيرة أو كعبي حذائها العاليين، أيعقل أن تلك المرأة المشهورة بإسرافها الفاحش ومغامراتها الطائشة تبقى وحيدة في كوخها المنعزل وتخلد إلى النوم قبل الساعة العاشرة؟

الصور تخبر القصّة!

طرد سيث الكلمات التي آمن بها منذ أن استخدم آلة تصويره الأولى في الثانوية، فهو لم يحب القصّة التي تخبره إياها هذه المرّة. لا يمكن لهذه القصة أن تكون صحيحة، فهذه الصور أظهرت امرأة تعيش ببساطة وهدوء... امرأة تسعى إلى الخلاص.

ذلك النهار على الشاطىء حين طلب منها أن تسمح له بتوثيق تغيّرها، جعلته أودرا يصدق فعلاً أنه يفعل. أودرا هذه تستمتع بقطف الأزهار البريّة ورمي الأحجار على سطح البحيرة الساكن. أودرا هذه تأخذ وقتها في مشاهدة غروب الشمس والجلوس على شرفة كوخها لتسمع حفل الضفادع الموسيقي في المساء.

هذا لا يشبه مطلقاً ما كانت أودرا كونلان هوارد ستوفر وينفلد عليه. اللعنة عليها! بالرغم من هذا، أحبّ سيث المرأة التي تدّعيها. إن كان هذا وهماً أم لا، سيث أحب أودرا فعلاً.

في صباح نهار أحد، بعد أسبوعين من وصول سيث إلى ترليوم، وحين كان ينهي فطوره، رأى أودرا من نافذته تخرج من كوخها. كانت ترتدي فستاناً، بدا متحفظاً بالنسبة لها لأن تنورته تصل إلى ركبتيها، كانت تلك المرة الأولى التي يراها فيها بثياب غير الجينز الذي ترتديه كل يوم.

ما الذي تنوي القيام به؟

صعدت أودرا إلى سيارتها المستأجرة وشغلت المحرك في الوقت

الذي كان سيث يضع بعض الملابس عليه ويخطف آلة تصويره في ملاحقة ساخنة. قاد سيث بغير هدف لقرابة النصف ساعة قبل أن يلمح سيارتها مركونة في مكان ما خارج كنيسة ميثوديست، التي تقع على بعد نصف ميل من المرفأ. توقف هناك وركن سيارته وراء سيارتها قبل أن يدرك أنها ما زالت جالسة خلف المقود، وأن المحرك شغّال.

ولأنه متأكد تماماً من أن أودرا رأته، لم يعد أمامه خيار إلا أن يترك سيارته ويسير باتجاهها، بعد أن خبّأ آلة تصويره خلف المقعد الآخر بجانبه.

قال حين أنزلت أودرا نافذة سيارتها: «صباح الخير».

ثم أشار بذقنه إلى الكنيسة وسأل: «هل ستدخلين؟».

أخذت أودرا نفساً عميقاً، وقالت لسيث: «أنا أفكر في الأمر. بالمناسبة، لن ترغب في الجلوس بجانبي».

- لِمَ لا؟

- أنا أتوقع صاعقة في أي لحظة.

ضحكتها الصارمة لم تستطع إخفاء توترها.

- هل مضى وقت طويل منذ زيارتك الأخيرة إلى الكنيسة؟

- ليست لديكَ فكرة!

أجابت أودرا بامتعاض. ثم سألته: «ماذا عنك؟».

- بضع سنوات.

هزّ سيث كتفيه غير مبالٍ، مع أن الذكريات لمعت في ذهنه مسببة له الألم. المرتان الأخيرتان اللتان زار فيهما الكنيسة كان يجلس في المقعد الأمامي في كنيسة القديس مارك الكاثوليكية مستمعاً إلى الكاهن نفسه الذي ترأس في المرة الأولى قداساً في مأتم أخته وزوج أمه. وفي المرة الثانية ترأس قداساً آخر في مأتم أمّه.

مالت نظرة سيث إلى أودرا، مفكراً أنها غلطتها! يجب أن تكون كذلك. إلا أن أودرا أخطأت تقدير سبب تغيّر مزاج سيث المفاجىء.

- أمتخوّف أنت أيضاً؟

لم يكن سيث يعني الكنيسة حين أجاب بعزم جديد: «متخوّف؟ على الإطلاق».

بدا من الصعب على سيث أن يكبت غضبه حين جلس هو وأودرا في الصّف الخلفي للكنيسة يستمعان إلى ترانيم تتلى وقسّيساً يعظ عن القدرة الشفائية للمسامحة.

تحرّك سيث بعدم ارتياح على المقعد، والذنب القديم يلتهب بحدّة في داخله كما الذكريات. رأى لي آن وأمّه في سيارة العائلة الصغيرة، ونظراتهما مخضّبة بالاحباط لأن الجدال بين سيث وجون أفسد نزهة أخرى للعائلة. كان تعبير زوج أمه مليئاً بالغضب وهو يتهم سيث بعدم قبوله، ومعاملته له كغريب عنه.

في الحقيقة، شعر سيث أنه كغريب منذ أن تزوجت أمه للمرة الثانية قبل عقدين. تضمن الشجار المزيد من هذه الكلمات الساخنة إلى حين شغّل جون محرّك السيارة، وأخيراً أطلقت أم سيث كلماتها الأخيرة: «لا ترجع إلى هذا المنزل إلى أن تستطيع الاعتذار من أبيك».

- هو ليس أبي.

- لطالما حاول أن يكون كذلك. أما عدم قدرتك على اعتباره والدك فهو ذنبك وليس ذنبه. وهذه خسارة لك.

دخن سيث سيجارة وهو يراقب السيارة الصغيرة تختفي وراء منعطف طريق. الاعتذار؟ لذاك الرجل؟ مستحيل! سيأتي نهار بارد في الجحيم قبل أن يفعل شيئاً كهذا.

كم كان سيث محقاً!

بعد بضعة أشهر، وقف سيث في منزل مثخناً بالجراح. وضّب أغراضهم ووضع البيت برسم البيع. كل كلمة جارحة قالها لجون على مرّ السنين رجعت صداها في فكره، وكل دمعة من مآقي أمه ولي آن أحرقته كالنار. فات الوقت للاعتذار. فات الوقت للسعي إلى المسامحة وللقيام

بذلك النوع من التعديلات التي ادعت أودرا أنها تسعى إليها.

ألقى سيث نظرة جانبية إلى أودرا، ولاحظ الخط الحزين لفمها وانحناء رأسها في التماس محبط. حين تكلّم القسّيس عن الابن الضال وكيف أنّ عودته إلى الديار كانت سبباً للاحتفال، تجمّعت الدموع في عيني أودرا ثم جرَت على خدّيها.

تدفّقت الأحاسيس، مهددة بأن تجرف سيث معها. جعلت أودرا قبولها للماضي يبدو سهلاً. لا، هذا ليس صحيحاً. الأمر ليس سهلاً، لكنه أساسي. وقف سيث فجأة، وهزّ رأسه باستنكار. وبدا هذا واضحاً على شفتيه. على خلاف أودرا، لم يستطع سيث العودة إلى دياره، فالعودة لم تكن خياراً أو حتى احتمالاً ممكناً.

- لا!

همست أودرا بتعجّب: «سيث، هل أنت بخير؟ إلى أين أنت ذاهب؟».

- لا يمكنني فعل هذا.

شدّت أودرا حاجبيها بحيرة.

- فعل ماذا؟

- لا يمكنني فعل هذا!

أعاد سيث هذه العبارة بصوت أعلى وبنبرة تأكيدية أكثر.

استدار الحاضرون ونظروا إليه بفضول وهو يبتعد عن أودرا، حتى كادت تزل قدمه وهو يغادر مكانه. تعثّر عند باب الكنيسة الخلفي، وركض إلى سيارته حيث ألقى يديه على سطح السيارة من جهة السائق وسحب كميات كبيرة من الهواء إلى رئتيه. شعر أنه لم يعد يستطيع التنفّس، وأدرك أنّه يرتجف، وكأن البرد تسلّل إلى عظامه، بالرغم من أن حبيبات العرق غطت جبينه.

ما الذي قصده سيث حين قال لأودرا إنه لا يستطيع فعل هذا؟ هل قصد أنه لا يستطيع إيذاء أودرا؟ هل قصد أنه لا يستطيع مسامحتها؟

الجواب عن كلا السؤالين ضايقه. بالرغم من ذلك اهتز شيء في نفسه، دافعاً إياه إلى التساؤل إذا ما كان «هذا» الذي أشار إليه شيئاً آخر تماماً.

صعد سيث إلى سيارته وهو يرتجف، وأدار المحرّك. حين رأى آلة التصوير بارزة من تحت المقعد بجانب السائق، شعر بالارتياح. هو لم يأتِ إلى هنا ليسامح أودرا... لقد أتى إلى ترليوم ليفضحها، ليهينها، ليجبرها على تحمّل مسؤولية ما اقترفته يداها، وهذا ما سيفعله. لقد أقسم على أضرحة أفراد عائلته إنه سيفعل!

قاد سيث سيارته مسافة عشرة أميال متجاوزاً حدود السرعة وهو في طريقه إلى الكوخ. بالرغم من هذا، لم يكن بإمكانه تجاهل تعابير أودرا المليئة بالتوبة.

٨ - أراك غداً

تطلّب الأمر بضعة أيام، لكن سيث شعر أخيراً أنه يستطيع لقاء أودرا مجدداً، بالرغم من أنه لم يكن متأكداً مما سيقوله حين يلتقيان وجهاً لوجه بعد ذلك الارتباك الذي أصابه في الكنيسة. استفاد من الوقت الذي أمضاه بعيداً عنها ليستجمع أفكاره، وليخفف ما بدأ يحسّ به تجاهها من الرغبة والتقدير، وهما شعوران لا يتوافقان ومهمته.

منذ قدوم سيث إلى ترليوم، تكلم إلى ديك ويلينغ مرتين. أكّد سيث للرجل الآخر في المناسبتين أنه سينهي ما تعيّن عليه في غضون شهر، ويرسل ملفاً الكترونياً للصور التي التقطها. مضت حتى الآن ثلاثة أسابيع تقريباً، وما زالت المهمة بعيدة عن الاكتمال.

المشكلة تكمن في أنه كلما قضى وقتاً أكبر مع أودرا، كلما استقصى معلومات أكثر منها وعنها والتقط صوراً أكثر لها، وكلما قلّ شعوره بأنه حقاً يعرفها أو يفهمها.

فليساعده الله! يوماً بعد يوم يقلّ اندفاعه ليراها تدفع ثمن خطئها.

المسامحة! أحياناً يفكر سيث بأن أودرا تستحقها. ربما يستطيع من خلال مسامحتها أن يجد ذلك السلام المحيِّر الذي لطالما سعى إليه. لكنه سرعان ما يتذكر أن أودرا نفسها وافقت مرّة على أن هناك أشياء لا تغتفر. لذا، عاد سيث إلى عمله.

كان قد استحم وارتدى ثيابه حين رأى الغزلان مجدداً، وقرر أنها ستكون عذراً جيداً ليظهر أمام باب أودرا وآلة التصوير في يده بعد ساعة من شروق الشمس. بعد قليل تبيّن له أنه لا يحتاج إلى عذر.

www.elromancia.com

حين فتح باب كوخه، كانت أودرا تقف على شرفته. أجفلت عندما فتح الباب قبل أن تدق عليه، ولم يتمالك سيث نفسه من إجراء المقارنة بين العينين الواسعتين لأودرا والنظرة الحائرة لتلك المخلوقات ذات الأربع قوائم، التي كانت تروي ظمأها من النهر في الخلف. كلتاهما خجولتان وضعيفتان.

كان شعر أودرا منسدلاً على كتفيها. الكحل الخفيف على عينيها جعلهما تبدوان أكثر اتساعاً وأكثر التماعاً. كانت قد ارتدت كنزة فضفاضة. إلا أن الشارة الدّالة على المصمم على كم قميصها الطويلة تنبىء بثمنها الباهظ، أما الطريقة التي غطى فيها القماش انحناءات جسدها الرشيق فتخبر قصة أخرى تماماً. مجدداً، شعر سيث بقبضة الانجذاب المحكمة تلك تلكمه بقوة.

- سيث! لقد فاجأتني.

قال لها بصوت خافت: «كنت ذاهباً لتوي لأناديكِ».

سألته أودرا: «ولِمَ أنتَ تهمس؟».

- غزلان... أربعة منها هي في الخارج الآن. ظننت أنك تودّين إلقاء نظرة.

قالت أودرا مبتسمة: «أراهن على أنك التقطت صوراً رائعة».

أشارت نحو آلة التصوير المعلّقة على كتف سيث وقالت: «هل التقطت؟».

هزّ سيث رأسه إيجاباً. بالفِعل قام سيث بالتقاط صور للغزلان، وقد وجد نفسه عاجزاً عن مقاومة جمالها الرقيق. بعد أن أزال الحاجز الشبكي بهدوء وفتح النافذة ببطء، تمكن من التقاط اثنتي عشرة صورة. قام غزالان صغيران برفع أذنيهما بغطرسة، ونظرا إلى ما حولهما، فيما ضربت الأنثى الأكبر بحوافرها في الأرض وصاحت في وجهه غاضبة قبل أن تسرح في الأراضي مجدداً بعد بضع دقائق.

- تفضّلي!

الرائحة الفوّاحة للخبز المحمّص وللقهوة المغلية الطازجة استقبلت أودرا مرحّبة لها، وذكرتها أنها لم تتناول طعام الفطور بعد أو تستمتع بأول فنجان من الكافيين. ذلك ما جعل لعابها يفيض وليس وسامة ذلك الرجل الذي اختفى في غرفته.

توقفت أودرا بضع لحظات على الباب، وأجراس الإنذار في رأسها تدق عالياً، أو ربّما كانت سرعة جريان هورموناتها هي التي سببت الطنين في أذنيها. لم تكن متأكدة مما تفعله في كوخ سيث، بالرغم من أنها افتقدته في صباحات الأيام القليلة السابقة. افتقدته حقاً، بطريقة تتجاوز إحساس الاضطراب الذي يسببه في معدتها. افتقدت إلى أحاديثهما.. إلى فترات السكوت الأنيسة التي باتت عنصراً أساسياً في نزهاتهما الصباحية.

قال سيث لأودرا حين بقيت مسمّرة على المدخل: «يبدو المنظر أفضل من هذه النافذة».

ثم غمزها وأضاف: «أعدك أن أتصرف بأفضل ما يمكنني».

تذكرت أودرا الطريقة التي عانقها بها في أول صباح لهما على الشاطىء. يومها شعرت بإغراء قوي لجعل تلك اللحظة تستمر.

رفعت أحد حاجبيها قائلة: «هذا ما تقوله العنكبوت للذباب أيضاً!».

انحنى باتجاه السرير الحديدي وشبك ذراعيه على صدره الواسع. خلفه بدت الأغطية مجمعة ومتجعدة كأنه عانى من نوم غير مريح أثناء الليل. فكرت أودرا أنها عانت من ليال مزعجة هي نفسها مؤخراً.

ابتسم سيث ابتسامة خطيرة وقال: «سامحيني، لكنني بالكاد أستطيع التفكير بأنك فريسة عاجزة، أودرا».

وافقته قائلة: «آه! أنا أبعد ما أكون عن العجز».

لكن هذا لم يعطها مناعة ضد ذلك السحر الذي يتمتع به سيث. تصرّفي بحذر! ذكرت أودرا نفسها، إلا أن دخول غرفة نوم رجل تتحدّى حتى الوصف الأكثر اشتمالاً لكلمة حذر.

بالرغم من هذا، تجاوزت العتبة، ووقفت في مدخل الغرفة رافعة ذقنها إلى الأعلى في تحدٍّ واضح.

ضحك سيث كردة فعل على تصرفها ووقف. من خلال النافذة المفتوحة، نظر إلى الخارج ثم أطلق شتيمة خافتة.

- لقد رحلت.

انضمت أودرا إليه على حافة النافذة بالرغم من أنه لم يكن هناك شيء لرؤيته.

- لا تقلق، سترجع.

استغرق سيث في التفكير وقال: «أتساءل كيف أتت الغزلان إلى هذه الجزيرة على كل حال. هل ركبت العبارة أم سبحت على ظهرها؟».

ارتاحت أودرا قليلاً لأن سيث بدا فجأة أقل توتراً، فضلاً عن أنّ موضوع الحديث انقلب ليصبح آمناً أكثر.

قالت: «تستطيع الغزلان السباحة، لكنني قرأت في مكان ما أن المواطنين الأوّلين استقدموها إلى هنا، وهناك غزلان قطعت فوق الثلج خلال فصل الشتاء».

- كان عليها أن تقطع بضعة أميال!

هزّت أودرا كتفيها.

- عندما تتوفر الإرادة يمكنك شق طريقك، لا سيّما حين تكون مطارداً من قبل الذئاب.

ضحك سيث بنعومة وقال: «ها أنت تعودين بأفكارك مجدداً إلى الحيوانات والفرائس».

- لا يمكن وضع الغزلان في رأس قائمة الحيوانات المفترسة.

وافقها سيث قائلاً: «لا! فالإنسان يتصدرها».

بعدئذٍ توقف عن النظر إلى خارج النافذة، وراح يتأمل أودرا بنظرة حارّة، ما جعل الحرارة تسري على امتداد عمودها الفقري.

سألت أودرا وهي تأخذ خطوة باتجاه الباب: «أهذه رائحة القهوة التي

أشمّها؟».

فابتسم سيث وأحسّت أودرا أنه أدرك جيّداً مدى الارتباك الذي سبّبه لها.

- أتريدين بعضاً منها؟

- سيكون هذا رائعاً. شكراً.

مجدداً في غرفة الجلوس، أومأ سيث إلى أودرا لتجلس.

- لمَ لا تجلسين، وأنا سأجلب لكِ القهوة؟ بالقشطة والسكر، أليس كذلك؟

- لديك ذاكرة جيدة.

- حين يتعلّق الأمر بكِ، أتذكّر كل شيء.

حين اختفى سيث في المطبخ، تساءلت أودرا عن السبب الذي جعل تعابير وجهه عابسة.

على الرغم من ذلك، حين رجع مع قهوتها كان يبتسم، فاعتقدت أودرا أنها توهّمت ذلك. لكنها لم تتوهم خروجه المخيف من الكنيسة نهار الأحد.

- لم أرك منذ بضعة أيام. هل كل شيء على ما يرام؟

تمنى سيث ألاّ تفتح أودرا هذا الموضوع. تنحنح قائلاً: «أجل».

- تركت الكنيسة بطريقة مفاجئة قليلاً نهار الأحد.

- آه! نعم.

ابتسم سيث بجهد وقال: «أظن أنني خشيت من انفجار الذكريات المدفونة، فأنا كاثوليكي لم يعد يمارس الشعائر الدينية، وهذا كثير جداً عليّ».

قالت أودرا بنعومة: «أفتقد إلى نزهاتنا معاً».

أقنع سيث نفسه أنه تخيل نبرة أودرا التوّاقة فحسب.

- حسناً! سأقوم بواحدة اليوم إذا أحببت أن ترافقيني. صادفت بعض الأزهار البرية حين كنت أتنزه البارحة من دون آلة التصوير، وفكرت أن

www.elkotenciа.com

ألتقط بعض الصور لها اليوم.

ترافق صوت أودرا مع ابتسامة حين قالت: «أزهار برية؟ أليس كذلك؟».

من الغرابة أن يستمتع سيث بالتقاط صور لحياة الجزيرة البرية.

- أهناك ما هو خاطىء في هذا؟

- لا.

- لكن...؟

- في الواقع أستطيع تصوّرك تنتزع لقطة لأحد الأبطال الفائزين في مباراة حماسية عالمية، لكن لسبب ما يصعب عليّ تصورك متحمّساً لمصادفتك بعض أزهار إكليل الجبل في مستنقع أو بعض الملفوف الأبخر.

- ولسبب ما أيضاً، يصعب علي التصديق أن شخصاً مثلك يستطيع أن يدلّني على إحدى هذه النباتات، إذا افترضنا أنها تنمو هنا.

- بالطبع أستطيع... وهي تنمو هنا. اتبعني.

وضعت أودرا كوب القهوة جانباً ووقفت. الابتسامة التي أرسلتها إلى سيث من فوق كتفها جعلت قلبه ينبض بقوة في صدره. لم يهتم سيث لردة الفعل هذه، لكنه طمأن نفسه إلى أنها مجرد ردة فعل جسدية، فلطالما كان لأودرا هذا التأثير عليه وعلى معظم الرجال تقريباً. هذه الصلة التي تجمع بينهما ليست سوى نزوة عابرة. إلا أن سيث لم يتمكن من استعادة رباطة جأشه إلا بعد أن دخلا إلى الغابة.

قالت أودرا: «أودّ أن أرى عملك لاحقاً، إذا كنت لا تمانع!».

وعدها سيث: «آه! سترينه».

بعد بضع ساعات، جلس سيث وأودرا في غرفة الطعام في سايبروك. كان صحن أودرا مكوّماً بالفواكه وببعض شرحات من خبز القمح المحمّص غير المطلي بالزبدة. في المقابل، كوّم سيث صحنه بالبيض المقلي واللحم المفروم وبعض شرحات من اللحم المقلي الطازج.

أشارت أودرا: «يبدو أنك جوّعت نفسك».

- نعم. بسبب تلك النزهة الطويلة.

لكن نظر سيث انحرف إلى فم أودرا بعد قضمة سريعة للبطاطا، وقال: «أخذت الكثير من اللقطات الجيدة اليوم».

- وخالفت القانون فقط مرّة واحدة.

اعترض سيث، وهو لا يزال يشعر بغبائه لأنه قطف لها فعلاً باقة من أزهار الترليوم، قائلاً: «وكيف لي أن أعرف أن الترليوم محمية بموجب قوانين الولاية؟».

غمزته أودرا قائلة: «لا تقلق، سرّك آمن معي».

بدت هذه فرصة ملائمة، فاستغلها سيث على الفور.

- كذلك أسرارك. هل تريدين أن تقولي لي لمَ ترمقك أختك بنظراتها الغاضبة؟

هكذا كانت آلي بالفعل، فقد وقفت في الجانب الآخر من غرفة الطعام، وشبكت ذراعيها على صدرها، وقد بدت غاضبة جداً. تعجّب سيث أنه لم يرَ الدخان ينبعث من أعلى رأسها لشدة غضبها.

- لقد سببت لها الأذى.

- هذا ما ذكرته تلك الليلة.

لم يشدّد سيث على الأمر بالرغم من أنه أراد ذلك. ارتشف رشفة من عصير الليمون، وانتظر أودرا وهي تلقي نظرة خاطفة على أختها التوأم المحملقة بغضب.

قالت أودرا بتنهيدة ملؤها السأم: «لماذا أشعر أنني أريد أن أخبرك قصة حياتي؟».

- الاعتراف مفيد للروح.

قالت أودرا بسخرية: «أأسمع هذا من الرجل الذي لم يستطع أن يجلس في الكنيسة لسماع صلاة الأحد؟».

ردّ سيث بلطف: «لمَ لا تبدأين أولاً؟».

وأكمل: «تستطيع أخطائي أن تنتظر».

كسرت أودرا قطعة صغيرة من الخبز المحمّص، ودستها في فمها فجأة ومضغتها على مهل، ففكر سيث أنها تماطل.

أخيراً قالت: «حين غادرت جزيرة ترليوم، ذهبت مع صديقها».

صفّر سيث من بين أسنانه.

- أستطيع أن أتخيّل الآن مدى استيائها.

أبقى سيث نبرة صوته هادئة. أهو الشعور بالاحباط الذي جعل معدته تتقلص؟ لطالما كان التصرف بطيش ملازماً لأودرا... أودرا التي يعرفها جيداً، والتي لا تشبه المرأة المتواضعة التي أدهشته بضحكتها وحسّها الفكاهي وهما يتنزهان صباحاً في الغابة.

فاجأته أودرا مرة أخرى حين أضافت: «لم أغادر في الواقع مع لوك بانينغ. قبلت أن يوصلني إلى العبارة، ثم اشتريت بطاقة لركوب الحافلة المتوجهة إلى كاليفورنيا».

- لوك بانينغ؟

طنّ الاسم في أذنَي سيث كأنه سمعه سابقاً وأضاف: «رجل الأعمال الذي حصد ملايين الدولارات وهو ما يزال في منتصف العشرينيات من عمره؟ لوك بانينغ ذاك... إنه أسطورة في دنيا المقاولات».

ضحكت أودرا بفخر غريب: «نعم! كان لديه شيء يريد أن يبرهنه حين غادر هذا المكان أيضاً، ويبدو أنه فعل».

- هل رأيته بعد ذلك الوقت؟

- لا! تبادلنا بعض المكالمات الهاتفية، وتراسلنا عبر البريد الإلكتروني. قدّم لي بعض النصائح السديدة في الاستثمار بعد أوّل... منذ سنوات قليلة ماضية، لكننا في الواقع لم نتقابل وجهاً لوجه منذ ذلك النهار على مرفأ العبارة في بتوسكي حين تمنينا حظاً ناجحاً ورحلة موفقة لبعضنا ثم افترقنا.

- إذاً، إذا كان كل ما فعلته هو قبولك بأن يوصلك، لمَ ما زالت

أختك غاضبة؟

قضمت أودرا المزيد من الخبز المحمّص برفق قبل أن تستأنف الكلام.

- كانت آلي ولوك يعانيان من المشاكل في علاقتهما. هو أراد أن يترك هذا المكان، وأنا لم أكن راغبة في البقاء أيضاً. كان الناس يتكلمون ويقولون لها إنني أحاول إغواءه. عندما سمعَتْ أنني كنت في سيارته الهارلي حين غادر، استخلصت استنتاجاتها الخاصّة. في الواقع، لقد استمتعت تقريباً باستنتاجها الخاطىء.

- لماذا؟

تفكّرت أودرا وسألت: «لماذا؟ سألت نفسي السؤال عينه مرات عدة مؤخراً. أظن أن الجواب السهل هو لأنني غضبت كثيراً لاعتقادها أنني أحاول سرقة صديقها في المرتبة الأولى».

- أظن أن الأمر أبعد من هذا.

ابتسمت أودرا وبدت حزينة قليلاً.

- أفترض... طوال حياتي أرادني الجميع أن أشبه أكثر آلي. هي ذكية، جدّية، ملتزمة...

انحرف نظر أودرا نحو أختها، وقالت: «لكن عليها حقاً أن تفعل شيئاً بشعرها».

سأل سيث بضحكة غير متوقعة: «ما شأن شعرها بالموضوع؟».

- لا شيء. لكنه... في الواقع يلخّص من هي: نظيفة ومنضبطة. لم تقع في المشاكل قط وهي طفلة. باستثناء مواعدة لوك الذي كان شاباً سيئاً إلى حد ما. أما أنا فكنت الشقية في العائلة، وداين لم يكن أفضل مني!

سأل سيث مرة أخرى: «لماذا؟».

هذا هو السؤال الذي يزعجه منذ أن تناولا العشاء معاً تلك الليلة.

هزّت أودرا كتفها هذه المرة. وهمهمت: «لست أدري. كلّما حاول أهلي أن يضعوني في الإطار نفسه مع آلي، كلما وجدت طرقاً لأتحرر

منه. نحن مختلفتان جداً».

ثم أضافت: «اختلاف الليل والنهار».

غامر سيث بقوله: «هي متحفظة أكثر وجدية».

وافقت أودرا قائلة: «يمكنها أن تكون جدية...».

ثم أردفت: «... لكن أحياناً أتساءل إذا كان هذا بسبب نظرة الناس لها وتوقعهم لذلك. أستطيع أن أكون جدية أيضاً، لكن دعني أرتدي التنورة المستقيمة الداكنة الزرقاء نفسها والقميص البيضاء المنشاة الرسمية مع ربطة العنق السخيفة تلك وسأظل... حسناً، لن يأخذني أحد على محمل الجد».

فهم سيث قصدها. كان جسم أودرا ملفتاً للنظر، بغض النظر عن قصّة ثيابها أو أناقتها.

اعترفت أودرا قائلة: «كان معدل علاماتي ج حين وصلت إلى الصف الثامن. لم يكن يأخذني أحد على محمل الجد، صدّقني! أحد أساتذتي... كان يغازلني في الثانوية».

الطريقة التي تكلمت بها أودرا جعلت سيث يشعر أن الأمر يتعدى مجرد مغازلة غير ملائمة، ما جعل الدم يجري بارداً في عروقه.

- هل غازلك أستاذك حين كنت في الثانوية؟ هل قدّمت فيه شكوى؟

- لا... لم أخبر أهلي حتى. كنت خجولة جداً.

ضحكت أودرا بنعومة، وحدّقت بقطعة الشمام التي قُطعت بدقة إلى أقسام صغيرة. بالرغم من مرور أكثر من اثنتي عشرة سنة، لا تزال أودرا خجولة! هذا ما لاحظه سيث.

- لا أصدق أنني أخبرتك بالأمر. لم أقل أيّ كلمة لأي كان قبل اليوم. لا... لا تكرّره... اتفقنا؟

ذلك هو البوح العاطفي الذي تمنى أن يضمّنه في كل نسخة يرسلها إلى ديك ويلينغ. بالرغم من هذا، اعتقد سيث أن مجرد التفكير باستعماله هو أمر غير أخلاقي، تماماً كما هو رأيه بتصرف أستاذ الثانوية ذاك.

- كان عليك أن تشتكيه.

أنبأ شيء سيث أن تلك الحادثة قلبت حياة أودرا.

هزّت أودرا كتفيها وقالت: «أعرف هذا الآن، لكن وقتئذٍ... بعد أن حصل هذا، قال لي إن أحداً لن يصدّقني، واكتشفت أنه محق. كان متزوجاً ولديه أولاد مثاليون. كان عضواً شريفاً بين جماعته، وأنا كنت مجرد «تلك الفتاة الطائشة من عائلة كونلان»».

- أما زال يدرّس هنا؟

وجد سيث نفسه راغباً بزيارة الثانوية المحلية.

- لا. تقاعد ورحل. كنت ما أزال في المدرسة.

ارتشفت أودرا رشفة من قهوتها، ثم أضافت: «على كل حال، لنعد إلى نقطتي الأولى. في الثانوية، كان الكل يصنّفنا في زمرة محدّدة. كانت آلي رئيسة الصف وعضواً في جمعية الشرف الوطنية وكان الجميع يتوقع لها النجاح. أما أنا فحالفني الحظ إذ تخرّجت بدرجة ج. الشيء المشترك بيننا هو أننا حين حصلنا على شهادتي الدبلوم عرفنا ماذا سنفعل في حياتنا. أرادت آلي أن تدير متنجع سايبروك وأردت أن أكون ممثلة».

ثم هدأت، وكأنها أدركت أنها باحت بالكثير، فأنهت كلامها قائلة: «جعلتُ أختي تظن الأسوأ عن لوك وعني».

قال سيث: «حسناً! يجب أن يكون الأمر سهلاً لتصحيح الأوضاع الآن».

- ربما، هذا إذا سمحت لي بالبقاء معها لأكثر من خمس دقائق، لكنها لن تعطيني الفرصة لأشرح. تدّعي أنها مشغولة جداً، ولهذا انتقلت إلى المتنجع. قرّرت أن أفرض وجودي عليها، غير مكترثة إذا ما سهّلت عليّ الأمر أم لا. جعلتني النظرة الغاضبة على وجهها اليوم أتساءل ما إذا كانت هذه فكرة سديدة.

وافقها سيث قائلاً: «تبدو آلي غاضبة حقاً».

وقفت نادلة قرب طاولتهما لتسكب لها المزيد من القهوة فصحّحت

الفتاة اليافعة: «الآنسة كونلان ليست غاضبة... هي منزعجة فقط. كلنا كذلك. وضع المالكون المنتجع برسم البيع رسمياً».

- سايبروك برسم البيع!

- نعم.

بعد أن غادرت النادلة، قال سيث لأودرا: «حسناً! يجب أن تشعري بالارتياح لأنك لست سبب مزاجها السيء».

ردّت أودرا: «في الواقع، هذا يجعلني أشعر بتحسن كبير».

تراجعت عن الطاولة وهي تقولها. ثم أضافت: «أنا آسفة للمغادرة سريعاً سيث، لكن هناك أمر لا يتظر، يجب عليّ فعله».

وصلت أودرا إلى خارج الباب، وأرسلت قبلة في الهواء لأختها المتكتّمة، قبل أن يستطيع سيث أن يتلفّظ: «أراكِ لاحقاً».

في الأيام القليلة القادمة، ظلت أودرا منشغلة جداً، راحت تحضّر خطة جريئة وبعيدة جداً عن أحلامها الطائشة إلى حدّ أنها كانت تستيقظ ليلاً متسائلة ما إذا كانت قد فقدت عقلها.

ظن داين أنها فقدته، لكن فليبارك الله قلب أخيها الأكبر، فقد وقف إلى جانبها كشريك على كل حال. في تلك الأمسية كانت على موعد مع المواجهة الكبرى، حيث ستلتقي وداين بآلي لمناقشة مسألة تشكيل شركة كونلان للتنمية، والخطة التي تقضي ليس فقط بأن يبتاعوا سايبروك ويحيوا مجده الغابر، بل بأن يوسعوا مساحته على الأرض.

أودرا تملك رأس المال الذي يسمح لها بشراء المنتجع فوراً. بالرغم من كل ما حصل، فهي امرأة غنية، لكن تعليق آلي حول كيفية تجميع أودرا لمالها لا يزال حجر عثرة في الطريق، ربما لأن أودرا الجديدة تعترف ببعض مصداقية تلك التعليقات. لذلك قامت ببعض الترتيبات التي قد يراها البعض جنونية ما إن تظهر إلى العلن. ساورها بعض الشك بأن يظهر الخبر في عناوين بعض الصحف. وظفت القسم الأكبر من ثروة زوجها المتوفي في صندوق ائتماني يستفيد منه أحفاده،

وخصصت مبلغاً كبيراً للجامعة التي تخرّج منها، جامعة هارفرد للعلوم الإدارية، كما خصصت منحة مالية قيّمة لنايجل مع رواتب سنوية كافية لطاقم المستخدمين الوفي لزوجها المتوفي.

أما هنري الرابع، فلم تستطع إبقاءه بعيداً عن الشرك كلياً. بعد محاولة قتلها، رفضت أودرا أن تشهد ضدّه، لذا تمكّن محاميها من أن يُسقط الأحكام عنه بشرط أن يحضر الرجل صفوفاً للإرشاد النفسي حول التحكم بالغضب، ويتبرّع بمبلغ كبير لمؤسسة خيرية تختارها أودرا.

وقد اختارت جمعية القلب الأميركية على شرف زوجها المتوفي الذي مات فجأة جرّاء سكتة قلبية.

بالطبع، حتى من دون المال الذي تركه لها زوجها المتوفي، كانت أودرا لا تزال ملياردية بفضل تسوية زواجيها الأول والثاني وقسم وافٍ من الاستثمارات التي كانت كلها من تعبها الخاص. لم تخطط أودرا لأن تبذّر كل مالها، لكن ما خططت له هو استثماره في أمور ناجحة أولها المنتجع.

انشغلت في العمل مع داين وعقد اللقاءات مع محاميها ومحاسبها في كاليفورنيا عبر الاتصالات السلكية واللاسلكية، فلم تكن ترى سيث إلاّ في أوقات الصباح حين كانا يلتقيان خارج كوخيهما عند الساعة الثامنة والنصف، ويتنزهان إلى حافة المياه ثم يعودان إلى الغابة ليصلا إلى المنتجع لتناول الفطور.

لم يعد يزعج أودرا أن يأخذ سيث معه آلة التصوير دائماً، أو أن يلتقط لها صوراً في معظم الأوقات. لأنه خلال تلك النزهات، كان يلتقط أيضاً العديد من الصور للأزهار البرية التي كانا يصادفانها.

بالإضافة إلى أزهار الترليوم والملفوف الأبخر وإكليل الجبل في المستنقعات، صادفا الخشخاش الأحمر وأزهار البنفسج الزرقاء والعليق العنقودي. تمكنت أودرا من تمييز الأزهار عن بعضها، متفاجئة بقدر ما تفاجأ سيث بأنها ما زالت تذكر الأسماء التي تعلمتها

من جدّتها لأمّها وهي لا تزال فتاة صغيرة.

سخر منها سيث في اليوم السابق قائلاً: «سنسميك أودرا أودوبون».

- أرجوك! لا ينقصني إلاّ اسم عائلة آخر.

نظر سيث إلى أودرا بفضول إلا أنه لم يطلب أي تفسير. لهذا السبب على الأرجح شعرت أودرا برغبة شديدة في أن تقدم له تفسيراً.

شيء ما كان يحصل بينهما بالرغم من محاولات أودرا لإنكاره. وبالرغم من تعهدها لنفسها بأن تبقى بعيدة عن الرجال، للمرة الأولى في حياتها، تلتقي أودرا بشخص يبدو متحمساً لما ستقوله. من المدهش أيضاً أنه للمرة الأولى في حياتها، يتخبّط في ذهنها شيء يتجاوز اجتذابها لرجل أو إرضاءه. في الواقع، ندمت تقريباً على انجذابها المتنامي تجاه سيث. أرادت أن تعتمد على نفسها هذه المرة، لكن كتفي سيث الواسعتين وصدره المليء بالمعضّلات كانا سببين مغريين ليجعلاها تضعف.

حين أوقفت أودرا سيارتها خارج كوخها في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك النهار، وجدت سيث جالساً في أشعة الشمس الخفيفة على الدرجة الأخيرة لكوخه، في إحدى يديه جريدة وفي اليد الأخرى قنينة مياه غازية.

قال وهو يغلق المجلة ويضعها والقنينة جانباً: «سيارة جديدة!».

- نعم. تعبت من قيادة سيارة مستأجرة.

وقف واقترب من أودرا هي تفتح الصندوق الصغير وتحمل كيسي البقالة اللذين ابتاعتهما بعد الانتهاء من اجتماع مع ممثلي المنتجع وداين. يا له من يوم خاص بالمشتريات الباهظة! فكرت بذلك وهي تضع ضحكة على محيّاها، وتتذكر العرض الذي قدمته شركة كونلان للتنمية بشراء منتجع سايبروك.

سأل سيث وهو يحيط عينيه بيديه الاثنتين لينظر من خلال جهة نافذة السائق لسيارتها الصغيرة الجميلة ذات البابين: «أهي ذات محرك سرعة عادي؟».

هزت أودرا برأسها مجيبة بالنفي: «لا، هي ذات محرك سرعة آلي. سأندم على الأرجح لعدم اقتنائي سيارة ذات دفع رباعي في الشتاء المقبل».

رفع سيث نظره إلى أودرا بحدّة.

- أما زلت تخططين للعودة إلى هنا في الشتاء المقبل؟

- نعم. أنا باقية هنا.

ابتسمت أودرا، وكادت الدموع تطفر من عينيها، مع أنها لم تكن حزينة. بغض النظر عن الأمور الكثيرة التي هي نادمة عليها، إلا أنها ممتنة لما آلت إليه الأمور. كم من الناس يحظون بفرصة لبدء حياتهم من جديد في عمر الثلاثين؟ هذا ما كانت أودرا تفعله.

- دعيني أساعدك.

- تساعدني؟

تطلب الأمر من أودرا لحظة واحدة لتدرك أن قصد سيث هو مساعدتها بأكياس البقالة، فضحكت بنعومة وقالت: «لا، شكراً. أنا بخير».

إنها كذلك، أو على وشك أن تكون كذلك على الأقل.

قبل أن تفكر ملياً بما هي على وشك قوله، بادرته: «هل تريد أن تتناول العشاء معي الليلة؟».

ألقى سيث على الأكياس نظرة خاطفة، وركز انتباهه على رزم الهليون الطازجة التي تبرز من أحدها.

- ما الذي تفكرين أن تطبخيه اليوم بالتحديد؟

ضحكت أودرا بصوت خفيف لتعابيره المصابة بالغثيان.

- لا حاجة لأن تشعر بالاستياء. كنت أفكر بالمعجنات وبعض السلطات. يمكننا ألا نضع الهليون إذا أردت. أتمهلني ساعة تقريباً؟

بدا سيث كأنه سيرفض، لكنه هزّ رأسه قائلاً: «سأحضر العصير».

* * *

- أتريد المزيد من السلطة؟

حملت أودرا وعاء الخضروات الطازجة التي اشترتها من سوق ترليوم للخضار. أصبح المكان اليوم ضعفي الحجم الذي كان عليه حين كان داين يعمل فيه وهو مراهق، إلاّ أن أشياء أخرى لم تتغيّر. لا تزال السيدة ويبستر نفسها مسؤولة عن قبض الحساب، وهي تصرّ على أن تعدّ فكّة الزبون إلى آخر قرش فيها. كذلك لا تزال هي التي تحدد من يدخل مجتمع الجزيرة المهذّب، لذا شعرت أودرا أنه مرحّب بها حقاً في مجتمعها حين شجعتها المرأة المسنة لتنضم إلى نادي الجزيرة للمرأة.

كانت أودرا لا تزال تسمع همسات من فترة إلى أخرى وهي تمشي في البلدة، لكنها تحوّلت تدريجياً إلى ترحيب صادق.

- لا أريد المزيد. شكراً.

تراجع سيث في كرسيّه وارتشف رشفة من العصير.

قالت أودرا: «هل تصدّق أن ذكرى انتهاء الحرب باتت قريبة؟ ستزدحم الجزيرة بالسياح».

وأضافت: «هل... هل تعرف متى ستغادر؟».

- ليس في هذه الفترة. المكان جميل هُنا. أرغب بأن أعرف كيف سيبدو المكان في فصل الصيف.

قالت أودرا محدّثة: «ما زال فصل الخريف هو المفضّل لديّ».

ثم أردفت: «لا يمكنك أن ترى من الجمال شيئاً حتى تتمتع بمنظر أشجار القيقب في هذه الجزيرة وهي تتجلّى بحلّتها الخريفية».

- يبدو المشهد رائعاً.

جالت نظرات سيث على وجه أودرا، وأضاف: «ربما علي أن أبقى هنا لوقت إضافي بعد».

همست أودرا: «يسرني ذلك».

ولأن الفكرة أعجبت سيث أيضاً، قرر تغيير الموضوع.

- لم أركِ كثيراً هذا الأسبوع. حسناً! ما خلا في أوقات الصباح.

- أعلم. كنت منشغلة جداً.

انتظر سيث من أودرا أن تفسّر أكثر، لكنها لم تتفوه بكلمة. وما لبثت أن وقفت وحملت الصحون الوسخة إلى المجلى، كذلك فعل سيث. كانت أودرا تخطط لشيء ما، وأنبأته غرائزه الصحافية أنه شيء كبير.

قال لها: «لقد استمتعت بالعشاء. شكراً لك».

وقف سيث على مسافة قريبة تكفي ليشمّ رائحة عطرها، تلك الرائحة التي لطالما لازمته منذ أن أنقذ حياتها. كانت أودرا لا تزال ترتدي قمصاناً وأوشحة تخفي بها الرضوض على عنقها، لكن بين فينة وأخرى، كان سيث يلمحها. خفّت الآثار كثيراً، لكنها ما زالت موجودة على بشرتها، مذكرة سيث بالطرق التي جمعهما القدر فيها، ليس مرة واحدة فحسب بل مرتين اثنتين.

- على الرحب والسعة. اعتبره رداً لوجبة الدجاج التي أعددتها لي في الليلة الأولى لنا في الكوخين.

تمتم سيث وهو يتقرّب من أودرا: «أهذا يعني أننا أصبحنا متساويين؟».

ردّت أودرا: «متساويين؟ آه، لا!».

رطّبت شفتيها وأكملت: «ليس لفترة طويلة».

ابتسم سيث ببطء، كأنه هرة تتلاعب بفأرة. سألها: «مَن هو في المقدّمة؟».

أخرجت أودرا علبة حلوى بيضاء من الخزانة فيها فطائر محلاّة بالجبنة والكرز.

- أنا في المقدمة. أعتقد أن هذا سيجعلك مديناً لي.

- حلوى؟

رفعت أودرا حاجباً وأصدرت صوتاً ساخراً كان ليجعل رئيس طهاة فرنسي فخوراً.

- فطيرة بالجبنة والكرز يا صديقي! هناك مطعم إيطالي على البر

الرئيسي ماهر في صنعها، إن القطعة منها غنية بمئات السعرات الحرارية يستحق مذاقها كل ما يصيبك، وهي مغطاة بالسكر الناعم والبندق المبشور.

قضمت أودرا قطعة صغيرة من الحلوى مستمتعة بقطع البندق الصغيرة. تطلب الأمر من سيث لحظة ليدرك أن الأنين الذين سمعه صادر من حنجرته. فكر بأن أودرا تحاول إغواءه، وتخيّل شعور آدم نفسه عندما قدمت له حواء التفاحة. كذلك شعر بعذاب مهلك لأنه لم يتمكن من استجماع إرادته ليكبح افتتانه بها.

- سأحكم عليها بنفسي.

حملت أودرا قطعة أخرى، لكن لم يمد سيث يده ليأخذها. بل مال إلى الأمام والتهمها ببطء من يدها.

اتّسعت عينا أودرا لتصرفه هذا، ولم تعد واثقة مما سيحصل. أما سيث فلم يعرف ما السبب الذي جعله يتصرف بهذه الجرأة، لكنه لم يكن يريد أن يتوقف. لم يعد يهمه في تلك اللحظة ما فعلته ومن هي بالفعل. كل ما أراده أن يقترب منها ويعانقها.

بدا عناق سيث حلواً وغني المذاق كقطعة الحلوى التي أكلها لتوّه من يدها. لفت أودرا يديها حول عنقه وقرّبته إليها. بعدئذٍ تغيّر كل شيء، وارتفعت حرارة عناقهما تدريجياً كنغمات الموسيقى المتزايدة في سيمفونية.

توقف سيث فجأة عن معانقة أودرا لينظر ملياً في عينيها الملتهبتي النظرات، قائلاً من تحت أنفاسه: «يا إلهي! هذا مستحيل!».

وبدا غاضباً بطريقة غريبة.

لم تجد أودرا الوقت لتستفسر منه عما عناه بقوله، لأنه بدأ يعانقها من جديد وهو يدسّ أصابعه خلف عنقها شابكاً أصابعه في خصلات شعرها المتجعدة.

كانت أودرا لا تزال غارقة في عناقه كما لو أنها تغرق في بحر من

العسل حين سُمعت دقّة على الباب الأمامي. دخل داين وآلي الكوخ من دون أن ينتظرا أودرا لتسمح لهما بالدخول. لم يكن هناك شك بالمشهد العاطفي الذي قاطعه الأخوان، بالرغم من أن أودرا قفزت مبتعدة عن سيث محاولة ترتيب شعرها وهيئتها المشوشة، كما ابتعد سيث مسافة ذراع عنها.

قال داين ملاحظاً أنّ تعابير آلي انقلبت إلى امتعاض: «أتينا في وقت مبكر قليلاً».

سخرت آلي من أودرا قائلة: «آه! يبدو واضحاً أنك تغيّرت».

وأضافت: «أما زلت تحاولين إغواء كل رجل ترينه أمامك، لا فرق لديك من يكون؟».

- آلي!

صاح بها داين بحدّة، إلا أن بعض التساؤلات وربما القليل من خيبة الأمل ظهرت في النظرة التي نقلها داين بين أودرا والرجل الذي وقف في المطبخ بارتباك.

قالت أودرا وهي رافعة ذقنها: «إذا أردت إهانتي، هيّا أهينيني، لكنك تدينين باعتذار لسيث».

حملقت آلي في أودرا وهزّت رأسها قليلاً، ثم قالت: «أنتِ محقة».

ثم استدارت نحو سيث وقالت: «أنا لا أعرفك جيداً، لكنني ظننتك صاحب أخلاق أعلى».

ردّت أودرا: «هذا ليس اعتذاراً فعلياً».

أجابتها آلي بحزم: «هذا أفضل ما يمكن أن أقوله الآن».

وأردفت: «لا يمكنني أن أتصور أنني سمحت لداين بأن يقنعني بمناقشة أمور العمل معك».

تنحنح سيث وكسر الصمت الحاد قائلاً: «سأذهب الآن. شكراً على العشاء، أودرا».

انتزع معطفه عن يد الأريكة وهو يتجاوزها، ما الذي دهاه كي يعانق

أودرا بهذه الطريقة؟ الله وحده يعلم ما الذي كان سيحصل لو لم يقاطعهما داين وآلي.

أقنع سيث نفسه أنه ممتن للمقاطعة التي هزّته وأعادت إليه رشده، إلا أن جسمه وعقله بدوا غير موافقين على الأمر.

نادته أودرا: «أأراك في الصباح لتتنزّه معاً؟».

قل لها: لا!

قل لها من أنت فعلاً!

قل لها: لتذهب إلى الجحيم!

ابتسمت أودرا وبدت تعابير محياها مرتبكة، وكأنها أحست بطبيعة الأفكار المتضاربة في داخله. لم يثق سيث بنفسه أن يتفوّه بكلمة فهزّ رأسه بعنف موافقاً، ثم أسرع نحو الباب وكلمات آلي المريرة لا تزال تدوّي في أذنيه.

٩ - وخسر قلبه!

كان الظلام ما يزال دامساً حين استيقظت أودرا في الصباح التالي. بقيت في السرير متخيلة أنها تستمتع بتدخين سيجارة، مستعيدة الحديث الذي دار بينها وبين أختها التوأم فور مغادرة سيث في الليلة السابقة.

استمرت آلي في انتقاد تصرفات أودرا، قائلة إن خططهم لإدارة المنتجع لن تنجح إذا أخذت أودرا دوراً مركزياً فيها. بالطبع، إن استعمال أودرا لكلمة «جاحدة» لم يساعد في حل الأمور، ولأن كل جهد تقوم به للاعتذار أو حتى لمناقشة الماضي، كان مرفوضاً من قبل هذه الأخيرة.

قالت آلي: «تريدين أن تكوني شريكتنا اليوم، لكن ماذا عن الأسبوع المقبل؟ لا يمكن التنبؤ بأفعالك. لست صاحبة مبادئ».

ثم استدارت نحو داين وسألته: «وأنت؟ لطالما كنت غافلاً كلياً عن سقطاتها».

- هي أختنا.

- هي أختكَ فحسب... أنا لست متأكدة من أنني أريد شيئاً منها. ولست متأكدة من أنني أريد شيئاً من المنتجع إذا كان ذلك يتضمن العمل معها.

بهذه الكلمات الفاصلة، غادرت آلي المكان غاضبة، وتبعها داين داعياً إلى السلام مرة أخرى. لطالما لعب داين هذا الدّور على مرّ السنين. بالإضافة إلى كونه مصلحاً، بقي داين الأخ الكبير على الدوام.

قبل أن يغادر، سأل أودرا: «إذاً، ما الذي يدور بينك وبين سيث

www.elromancia.com

ريدلي؟».

تلاعبت أودرا بالطرف السفلي لكنزتها الخفيفة، فيما نظرات أخيها تتفحصها بدقة.

- لست أكيدة تماماً.

- أود، إسدِنا خدمة، وفكّري جيداً قبل الاقدام على أي خطوة هذه المرة. أرجوك!

يمكنها تقبّل انتقاد آلي، فهي تتوقعه بالفعل. إلاّ أنّ التأنيب الرقيق في نبرة داين جعل أودرا تشعر أنها قليلة الدِّراية.

- ظننتك... تحب سيث.

- أحبّه على قدر ما أعرف عنه، وأعتقد أنّ هذا مربط الفرس. لقد التقيت به لتوّك، منذ بضعة أسابيع فحسب. أريدك أن تستعملي رأسك هذه المرة.

همهمت أودرا غير مدركة أنها تلفّظت بالكلمات بصوت عالٍ إلا حين ابتسم داين: «هو مختلف عن كل الرجال الذين عرفتهم».

اقترب داين من أودرا ليلامس شعرها بحنان، ثم قال لها: «أعرف يا صغيرتي. يبدو فعلاً طبيعياً، والحمد لله! كذلك يبدو أنه ولد في العقد نفسه الذي ولدت فيه».

- لكن...؟

- ماذا تعرفين عنه غير أنه يقيم هُنا؟ هو ليس من الجزيرة، أود. وهو ليس حتى من ميشيغان. إنه في عطلة.

همهمت أودرا، متذكرة كلمات سيث في أول صباح على الشاطىء: «على مفترق طرق».

- وكذلك نحن. نحن على وشك شراء سايبروك. حين يصبح المنتجع لنا، علينا القيام بعمل مضنٍ من أجل ترميمه. قلتِ لي إنك عُدت لتستقري هنا.

- بالفعل. لست ذاهبة إلى أي مكان، داين. أعدك بهذا!

هزّ داين رأسه وقال: «لا أريد رؤيتك ترتكبين خطأ آخر. الأمور غير مستقرة مع آلي، ونحن نحتاج إليها على رأس العمل لتنجح خططنا بشأن المنتجع».

اعترضت أودرا قائلة: «ستغير رأيها... هي تريد أن تملك سايبروك أكثر ممّا نريده نحن».

- لا أقول إنها لا تريد ذلك، إلا أنها عنيدة متكبِّرة، وقد تضحي بأحلامها، ولا تقبل التضحية بكبريائها، لا سيما أنها لا تثق بك في هذه الآونة. هي لا تصدّق أنك تغيَّرت. إذا ذهبت وغادرت مع شاب مرة أخرى...

قاطعته أودرا بصراحة: «لم أغادر ترليوم مع لوك بانينغ منذ عشر سنوات، قبلت أن يوصلني إلى العبارة وكانت هذه آخر مرة أراه فيها».

- يا إلهي! أنا أعرف ذلك، ولم أفكر بطريقة مختلفة قط. لكن كان عليك أن تقولي هذا لآلي في ذلك الوقت، لقد تعذبت كثيراً بسبب ذلك. بالطبع، داين كان قرب آلي ليواسيها.

أغمضت أودرا عينيها وسألته بارتباك: «لمَ لا تكرهني أنت أيضاً؟ أعطيتك أسباباً كثيرة لتفعل خلال السنوات الماضية».

- لطالما عرفت أن لديك قلباً طيّباً، مع أنك لا تستعملين عقلك دائماً.

- أتظن أن كل ما يحصل بيني وبين سيث هو مثال آخر لحكمي السّيء على الرجال؟

أجاب داين: «ليس بالضرورة. لا علاقة لهذا بالأمر، رغم كل ما حصل».

- أشعر بنوع من الرابط الذي يجمعني به. إنه أمر صعب التفسير، وكأنني عرفته لفترة أطول من أسابيع.

هزّ داين رأسه وضحك على الفور وقال: «لن تبدأي بالتفوّه بتفاهات عن الحب من أول نظرة. أليس كذلك؟»

- لماذا؟ ألا تؤمن به؟

- لا! هو مجرّد شيء من العبث الرومنسي. تتطلب العلاقات الوقت والجهد.. والاخلاص أيضاً.

شدّد داين على هذا ثم قال: «هل يعرف سيث مَن تكونين؟ من تكونين فعلاً، أودرا كونلان هوارد ستوفر وينفلد؟»

تنهّدت أودرا بقوة لسماع الأسماء الكثيرة التي استخدمها داين ثم أجابت: «لا».

- إذاً، أقترح أن تخبريه قبل أن تتطور الأمور أكثر.

أخوها محق بالطبع، لكن هناك أولويّات. إنها بحاجة إلى التحدث مع آلي أولاً.

بعد أن استحّمت أودرا وارتدت ثيابها، تركت ملاحظة على باب كوخ سيث، وقادت سيارتها إلى المنتجع. وجدت أختها جالسة على طاولة مرتبة بشكل دقيق في مكتبها. بدت مهووسة في النظافة كعادتها بثيابها السخيفة، لكن كان هناك ظلال تحت عينيها وأثلام من التوتر واضحة تحت حاجبيها. هل أودرا هي سبب ذلك التوتر؟

تركت شعور العطف جانباً، وقالت: «أريد التحدث إليك».

بالكاد أعارتها آلي اهتمامها وقالت: «خذي موعداً».

- لا! الآن.

أقفلت أودرا الباب بقوة خلفها قبل أن تستطيع آلي أن تأمرها بالمغادرة. سحبت كرسياً وجلست عليه.

- في كل مرة أحاول مراجعة الماضي والاعتذار، تصدّينني. حسناً! ستسمعين ما سأقوله هذه المرة.

أجابت آلي بنبرة هشّة كالقميص المُنَشّى الذي ترتديه: «لدي لقاء مع طاقم الموظفين بعد خمس عشرة دقيقة».

ثم أضافت: «ليس لدي وقت للحديث».

- هذا ليس حديثاً، اللعنة! لست هنا لمناقشة حالة الطقس. الغي

اللقاء!

غضبت آلي بشدة وهي تنهض عن كرسيها وتستدير حول الطاولة، وقالت: «بلغت حداً كبيراً من الجرأة كي تأتي إلى هُنا وتأمريني».

أومأت بإصبعها باتجاه الباب وقالت: «اخرجي!»

وقفت أودرا على قدميها أيضاً. وقالت وهي ما زالت متألمة من تنكر آلي لها: «لا! لدي الجرأة لذلك لأنني أختك، مهما كرهتني الآن».

حين فتحت آلي فمها لتتكلم مجدداً، لوحت أودرا بيدها في الهواء لتقاطعها.

- لا! دعيني أقول هذا الآن.

أخذت نفساً عميقاً، وهي تعرف أنها تواجه أقسى جمهور في حياتها، لكنها لم تخطط لتمثيل الدور. خططت لتكون وفية فحسب، فتخرج كل ما يملأ قلبها منذ سنوات كثيرة.

- أعرف أنني تسببت لك بالأذى آلي، وأنا آسفة على ذلك.. آسفة أكثر ممّا تظنين. لكن عليك أن تصدقيني حين أقول إنه لم يحصل شيء بيني وبين لوك، قبل أن أغادر ترليوم أو بعدها. في الواقع، لم نغادر معاً. لقد أوصلني إلى العبارة فحسب. هذا كل شيء. أقسم لك! افترقنا في بتوسكي وسمعت عنه بضع مرات منذ ذلك الوقت.

علقت آلي بصرامة: «أنت سمعت منه شيئاً على الأقل».

- أنا آسفة جداً آلي.

بالرغم من عزم أودرا ألا تبكي، امتلأت عيناها بالدموع وتهدج صوتها حين أضافت: «أنا آسفة لأنني جعلتك تفكرين بالعكس. كان ذلك تصرفاً دنيئاً من قبلي، وكرهت نفسي لأجل ذلك. آمل أن تسامحيني. أنا.. أرجوك، فأنا أحبك».

أزاحت آلي نظرها عن أودرا، لكن ذقنها ارتجف. وحين التقت نظرتها مع نظرة أودرا، كانت عيناها أيضاً ممتلئتين بالدموع.

أخيراً سلّمت آلي بتنهيدة ضعيفة: «لطالما عرفت في سرّي أن لا شيء

بينك وبين لوك».

ثم أضافت: «يا إلهي! تمنيت لنفسي الموت حين غادرتِ، لكن.. أتعلمين ما الذي جرحني أكثر؟»

- التفكير بأنني ذهبت معه؟

- لا، أيتها الغبيّة.

هزّت آلي رأسها بإحباط وقالت: «ما زِلت لا تفهمين. لقد تركتني أنت أيضاً أودرا... تركتني في الوقت نفسه الذي تركني فيه لوك... احتجْتُ إلى أختي ولم تكوني هُنا. بعدئذٍ اتصلت من كاليفورنيا والشخص الوحيد الذي تكلمت معه هو داين».

- لم أعرف أنك أردتِ التكلم معي.

- حسناً! لم أعد أريدك بعد ذلك. شعرت أنك نفيتني من حياتك، فعاملتك بالمثل.

- لم يكن الأمر هكذا.. أردت أن أذهب فحسب. الكلُّ هُنا أرادني أن أكون مثلك. ليس في الأمر إهانة، لكنني لست مثلك، ولن أكون يوماً. لم أستطع البقاء وتخييب أمل الجميع... أردت أن أصبح ممثلة.

سألتها آلي: «لكنك رجعت إلى ترليوم الآن. ما الذي تغيَّر؟».

أخيراً، كان لدى أودرا الإجابة على كلا المسألتين.

- أنا تغيَّرت. أعرف ما أريده وما لا أريده. أعرف أنني لست ممثلة جيِّدة تتخذ التمثيل مهنة لها. حين غادرت هذا المكان، ظننت أنني أتبع حلماً، لكن منذ أن عُدْت إلى هنا، أدركت أنني كنت أحاول الهروب من شيء لا أستطيع مواجهته حقاً.

- ماذا تعنين؟

هزت أودرا رأسها وقالت: «لا أريد الخوض في هذا الحديث الآن. هو شيء حصل معي منذ وقت بعيد، لكنني لم أعد أستعمله كعذرٍ. تستطيعين القول إنني أصبحت في حالة سلام مع ماضيّ».

سارت أودرا إلى ناحية النافذة ونظرت خارجاً إلى المنظر الطبيعي،

متنبهة قليلاً للمشهد الرائع الذي شكله المطر.

- فعلت أشياء حمقاء فعلاً واتخذت بعض الخيارات السيئة على مرّ السنوات. أي شخص يقف بالقرب من دكان البقالة وينظر إلى عناوين الصحف الصغيرة يعرف ذلك، وعلي أن أعيش مع تلك الخيارات الآن. أستطيع تقبل واقع أنّ الكثيرين الذين لا يعرفونني يظنون أنني أستحق أن أتعفّن في الجحيم، لكن إذا كنتِ تظنين كذلك...

أخذت أودرا نفساً متقطعاً، واستدارت لتواجه آلي وأجبرت نفسها على الانتهاء قائلة: «...إذا كنت تظنين ذلك أنت أيضاً، فإنقاذي بعد أن خُنِقت حتى الموت تقريباً لن يساوي شيئاً في نظري».

تلطّفت تعابير آلي وأمسكت يد أودرا.

- أردت السّفر إلى كاليفورنيا مع داين حين سمعنا الخبر، لكن المشاكل كانت في أوجها في المنتجع منذ أن عُيِّنت مديرة. بالإضافة إلى ذلك، لم أكن متأكدة مما سأقوله لك. لطالما كنا في صراع دائم حتى في أفضل الظروف.

بكت أودرا جديًّا الآن: «هل أردتِ المجيء فعلاً؟».

- بالطبع! فلنضع الاختلاف جانباً، أنتِ ما زلت أختي. لكن مضى وقت طويل جداً... تجاوزت حالة الجراح إلى حالة الغضب. لم أغضب لأنك رحلت فحسب، بل أيضاً لأنك تسبّبت بالكثير من المشاكل المدمّرة لنفسك عبر السنوات. لمَ فعلت هذا؟.

مسحت أودرا الدموع عن خدَّيها، قائلة: «أظن أنني لم أشعر بوجود شيء أخسره».

- والآن؟

فكّرت أودرا بداين وآلي والمنتجع الذي سيديرونه معاً عما قريب، كما فكرت بوالديها اللذين فرحا كثيراً وشعرا بالفخر أيضاً حين نقل إليهما داين وأودرا الخبر، فقررا أن يأتيا إلى ترليوم في فصل الصيف، وكانت أودرا تنتظر على أحرّ من الجمر لتراهما مجدداً.

- أريد استرجاع ما خسرته مجدداً. لا... ما استغنيت عنه. أرغب أن أكون جزءاً من العائلة. أريد أن استرجع نفسي واحترام الناس الذين ألتقيهم على الطريق.

العائلة والاحترام... أهذا كل شيء؟ لا، أدركت هذا حين فكّرت بسيث ريدلي. في فترة قصيرة، استطاع سيث أن يتسلل إلى قلبها وأفكارها.

أضافت أودرا بهدوء: «أريد أن أكون محبوبة».

لم تقل آلي شيئاً للحظة، لكن صرامتها انحلّت وارتجفت ابتسامة على شفتيها. فتحت ذراعيها وقالت بنعومة: «أهلاً بك في الديار، يا أختاه».

جاء عناقهما شافياً. فأخيراً، اتحدت التوأمان من جديد! فرحت أودرا لالتئام الشمل هذا، بعد أن خشيت ألاّ يحصل. آه! لم تشك أودرا ببروز المزيد من الخلافات والنزاعات في الأيام القادمة. ستتصارع هي وآلي دائماً، لكنها أقسمت بألا تسمح لأي شيء بأن يقف حاجزاً بينها وبين أختها مجدداً.

قالت وهما متعانقتان: «أنا سعيدة جداً!».

وأضافت: «أحبّك آلي».

- أنا أحبك أيضاً.

بعد بضع دقائق، سألتها آلي: «بالنسبة إلى المنتجع، هل ما زلت ترغبين بي شريكة لكِ؟».

- لم نرغب أنا وداين بشيء آخر.

شعّت الابتسامة على شفتي آلي، وعادت إلى طاولتها مجدداً. ثم سحبت بعض الملفات من أحد الأدراج قائلة: «في هذه الحالة، لدي بعض الأفكار كي أشاركها معكما».

فابتسمت أودرا وقالت: «دعينا نتصل بداين».

بعد بضع ساعات، كانت أودرا وآلي وداين يراجعان المسودة غير المكتملة للمخطط الذي يضفي على سايبروك طابع القرن الحادي

والعشرين، مع المحافظة على سحر طابعه العشريني. قرروا إجراء تعديلات على غرف الفندق بعد أن تنتقل ملكية المنتجع إلى أيديهم رسمياً. السجادات، ورق الجدران، النوافذ، المفروشات وتجهيزات الحمامات... كل شيء سيستبدل بقطع يغلب عليها طابع القرن الحادي والعشرين.

ولراحة الزّوار، سينتظر تجديد المدخل إلى ما بعد عيد العمال حين تخفّ الحركة تدريجياً وينخفض عدد الزوار. خلال فصل الشتاء، وحين يبدأ سايبروك باستقبال عدد قليل من الزوار، سوف تطال التعديلات الفندق الصغير والأكواخ الإثني عشر لتماشي العصر.

هذه الخطة الطموحة تدعو إلى أن تكتمل كل التجديدات قبل الصيف المقبل، ما يعني أنّ عليهم دفع مال أكثر للمقاولين ليتم هذا العمل. لكن الثلاثة اتفقوا على أنهم لا يستطيعون التقدّم ببطء، فهنالك منتجعات جديدة على البّر الأساسي تنافس هذا المنتجع بقوة.

من الآن وحتى الافتتاح الكبير، يحتاج سايبروك إلى استرجاع اسمه بقوة على الخارطة. إنه يحتاج إلى أن تلمع صورته الباهتة ويرجع مجده المشع أصلاً. لإنجاز هذا، يحتاجون لأن يعملوا مع شركة علاقات عامة على استراتيجية تسويق أفضل، وأن يوظفوا مصمم شبكات ليجعلوا موقع المنتجع الإلكتروني الخالي من الإشراق ليس مشوّقاً فحسب، بل أيضاً سهل الاستعمال.

ولأن آلي مديرة حالية، فهي تملك معرفة أولية بما قام به المنتجع من خطوات سليمة وأخرى خاطئة في السنوات السابقة. داين، مع خلفيّته في المحاسبة، لديه خبرة جيّدة في الناحية الاقتصادية لشركة كونلان للتنمية الحديثة المنشأ ونوع رأس المال المطلوب لإنجاز ما يريدونه في إطار الوقت المحدد.

كان لدى أودرا مساحة من الخبرة أيضاً. فخلال السنوات السابقة، نزلت في أفخم الفنادق حول العالم. عرفت معنى الرفاهية والعوامل التي

تجذب الناس الذين هم مستعدون لدفع أي مبلغ من المال للاستمتاع بها. شعرت أودرا أنها فاجأت أخويها بالاقتراح الذي أعطته لتغيير توجه سايبروك قليلاً نحو جذب العائلات.

رددت آلي: «العائلات؟».

وأضافت: «لطالما رحّب الفندق بزوار مع أولادهم».

- أعلم هذا، وأعلم أيضاً أن ما ستتقاضاه كإيجار للغرف لن يكون غالياً جداً. سيجلبون معهم الشابة التي تنتبه إلى صغارهم، فترعاهم بينما هم يأخذون حمّام شمس قرب البركة المجدّدة حديثاً والمغطس الساخن. لكن لا أريد سايبروك أن يصبح ملجأ للمتكبرين. لن يذهب هؤلاء الناس إلى المدينة ويحتكّوا مع المحليين. لن يصرفوا أموالهم في مطعم ليفني أو في حانة ساندبايبر، ما يعني أنهم لن يدعموا اقتصاد الجزيرة.

سأل داين: «ماذا تقترحين؟»

- أعتقد أننا بقدر ما نحتاج إلى تجهيز غرف للزبائن الأغنياء، وهذا يعني تأمين كل وسائل الراحة التي يتوقعها هؤلاء، علينا أيضاً تجهيز نسبة أخرى من وسائل الراحة التي تستطيع تحمّلها العائلات التي تتطلع إلى تبذير أموالها على عطلة من نوع فريد.

وافقها داين قائلاً: «نستطيع أن نشترك مع شركات محلية مثل خدمة شيلي تشارتر لرحلات صيد السمك في المراكب ومع حوض ترليوم لتأجير المراكب الشراعية».

قالت أودرا: «فكرة ممتازة».

كان فكر أودرا لا يزال يعصف بالاحتمالات، وهي تشعر بألم في أسفل ظهرها جرّاء الساعات التي قضتها مقوّسة الظهر على الطاولة في قاعة المؤتمرات في المنتجع، فقرر الثلاثة أن يكفّوا عن العمل.

اقترحت أودرا قائلة: «ما رأيكم أن نخرج للعشاء لنحتفل؟»

ردّت آلي: «تبدو فكرة جيّدة».

بالرغم من ذلك، هزّ داين رأسه وقال: «أودّ ذلك، لكنني وضعتُ

مخططاتي مع جولي».

غمزته أودرا ببراءة وقالت: «اجلبها معك. آلي وأنا لن نمانع».

- أحقاً؟ أتخيل فقط أنواع القصص العائلية المخجلة التي ستفشيانها».

قالت آلي: «وهل تظن أنّ جولي وستون لا تعرفها كلها؟»

أجابها داين بسخرية: «آمل أن تكوني مخطئة»

سألت أودرا بينما هم يتجهون إلى ناحية الباب بعد بضع دقائق: «هل ما زال ساندبايبر يقدم أشهى شرائح الجاموس الساخنة؟».

أكد لها داين: «مع قطع من الجبنة الزرقاء والكرفس وكمية من الفوط لتمتص الدموع من عينيك الدامعتين».

ابتسمت أودرا قائلة: «دعونا نذهب إلى هناك، فأنا أرغب بشيء ساخن».

قصدت أودرا طعاماً ساخناً بالطبع، لكن ما إن دخلت هي وآلي إلى المطعم بعد نصف ساعة ورأت سيث يجلس وحيداً هناك، اتخذت السخونة معنى آخر كلياً.

كان سيث يرتدي سروال جينز باهتاً وقميصاً بيضاء عادية، لكن لم يبدُ أن هناك شيئاً عادياً في الطريقة التي استدار بها حين رآها. بدت تعابيره مزيجاً ملفتاً من اللهفة والشوق، واستطاعت أودرا فهم هذا. مهما كان الأمر الذي يحصل بينهما، فقد فاجأها أيضاً.

قالت لها آلي: «ها هو صديقك».

لكن لم تكن نبرتها ساخرة كما كانت في الليلة السابقة. بالرغم من ذلك، شعرت أودرا باحمرار في وجهها، وقالت: «سيث ليس صديقي».

وضعت آلي يدها على ذراع أودرا وقالت: «أريد أن أعتذر عن الليلة السابقة. لم أقصد ما قلته عنك، أود. كنت غاضبة فحسب لأنك بَدوت كأنك تقومين بتدمير ذاتك كما كنت تفعلين من قبل. لكن سيث... يبدو لطيفاً».

ضحكت أودرا ضحكة خافتة على نبرة أختها المحيّرة وعلقت: «أعتقد أن الكلمة التي استعملها داين كانت عادي».

- هذا صحيح أيضاً.

- أظن أنني واقعة في حبه.

أفشت أودرا هذا وهي غير مدركة لحقيقة أحاسيسها إلا حين تفوّهت بهذه الكلمات. ثم شعرت بالدوار والغثيان.

سألتها آلي وهي تلتقط يدها بسرعة: «أأنتِ بخير؟».

- نعم... لا... لست متأكدة.

أخذت أودرا نفساً وأضافت: «أظن أنني بحاجة إلى الجلوس».

- هناك طاولة خالية في الخلف. تعالي!

تبعت أودرا أختها في الزحمة، والطنين يتزايد في أذنيها. حب! هل يمكن أن يكون ما بينهما حباً حقاً؟ اعتقدت أنها عرفت الحب قبل ذلك، لكنها لم تشعر بمثل هذا الشعور من قبل.

علّقت آلي حين أخذوا أمكنتهم: «تبدين شاحبة قليلاً».

وأردفت: «إذاً حب! أليس كذلك؟».

- أنا... أعتقد هذا. وقبل أن تذكري مسيرتي مع الرجال، دعيني أقول لكِ إن هذا مختلف.

سألتها آلي: «كيف؟».

لم يكن هناك تحدٍ في نبرتها، بل فضول فحسب. وبسبب هذا، شعرت أودرا بالحاجة لتتفحص مشاعرها عن قرب أكثر.

- حسناً! أنا لا أحاول إنقاذه من الإدمان، ولست أحاول الهروب من مشاكلي عبر إغراق نفسي في علاقة معه.

ابتلعت أودرا ريقها وأضافت: «يبدو... يبدو هذا حقيقياً».

قالت آلي: «أنا سعيدة بهذا».

وأضافت: «أتريدين أن تدعيه إلى هنا؟ إنه يجلس بمفرده، وأنا متأكدة أن داين لن يمانع».

أخذت أودرا نفساً عميقاً، فتوقف الطنين في أذنيها ولم تعد ركبتاها ترتجفان. بعدئذٍ توقفت وقالت: «أظن أنني سأفعل».

أمضى سيث بضع ساعات وهو مستيقظ الليلة السابقة، معذّباً نفسه بتذكر المشهد في المطبخ. إنه منجذب بقوة إلى أودرا ولا يستطيع نسيانها. بدا ذلك الواقع الصريح خيانة لكل ما اعتقد أنه يعمل له. كيف يمكنه أن يحمل كل تلك الأحاسيس لامرأة لطالما اعتقد أنها عدوّة له؟ هل هي عدوّة حقاً؟

قرّر أن يجتنبها حين استيقظ ذلك الصباح. خطّط أن يمتنع عن نزهتهما الاعتيادية، وربما يضطر إلى الاختباء طيلة النهار. جعلت أودرا هذا الأمر سهلاً من خلال ملاحظتها.

«لا أستطيع قبول دعوتك للتنزه الآن. هناك شيء يجب عليّ فعله، ولست متأكدة من الوقت الذي سيستغرقه. أعتذر مجدداً عن الليلة السابقة. أتطلّع لرؤيتك لاحقاً. أودرا».

الآن، وهو ينظر إلى أودرا تجتاز الغرفة، شعر سيث بقوة ذلك الانجذاب. بدأ قراره بالابتعاد عنها يتآكل كما تتآكل صخور الشاطىء بتأثير الموج الجارف.

- مرحباً، سيث!

- مرحباً! أرى أنك هنا مع أختك. هل هذا يعني أنك نجحت أخيراً في إصلاح الأمور؟

ابتسمت أودرا وقالت: «نعم، أصلحنا الأمور أخيراً. أنا واثقة من أننا سنجد الكثير من الأشياء التافهة لنتشاجر عليها غداً... لن نكون أختين إذا لم نفعل. لكن الليلة نحن على اتفاق على كل شيء بما في ذلك حقيقة أننا نريدك أن تنضم إلى العشاء معنا. هل تناولت العشاء؟».

- في الواقع، طلبت شطيرة البرغر مع البطاطا المقلية. ستكون جاهزة حالاً.

لمست أودرا ذراع سيث وقالت: «انضم إلينا، أرجوك. سيكون داين

هُنا في أي لحظة. نحن نحتفل».

هزّ سيث كتفيه، وشعر بعدم الارتياح فجأة لأنه وجد فكرة تمضية الليلة، ليس مع أودرا فحسب، بل مع باقي أفراد عائلة كونلان جذّابة جداً. فليساعده الله! تعب مؤخراً من البقاء لوحده. بالرغم من هذا، رفض سيث عرض أودرا بهزّة من رأسه.

- أتحتفلون؟ هذا سبب إضافي لعدم التطفّل على وقتكم العائلي.

- لن يكون الأمر هكذا. سيجلب داين أحدهم. بالإضافة إلى ذلك، أنا... أريدك أن تكون موجوداً.

- لماذا، أودرا؟

رآها تبتلع ريقها، كأنها تستجمع شجاعتها. وحين تكلمت، أثرت به كلماتها البسيطة أكثر ممّا توقع.

- أريد أن أكون معك... حقاً.

سألها سيث مجدداً وكان هو الذي ابتلع ريقه هذه المرّة منتظراً ردّها: «لماذا؟».

- لكثير من الأسباب، لكن أظن أن أهمها هو أنه على رغم من أنني لن أكون أبداً مثل أختي، أنتَ تأخذني على محمل الجد.

هذا الأمر يهمّها. يهمّها فعلاً.

عادت تسأله: «إذاً، هل ستنضم إلينا للعشاء؟ أرجوك!».

وكما ضاع سيث في أودرا الليلة السابقة، وجد نفسه مرّة أخرى غير قادر على مقاومتها.

* * *

اعتذرت آلي مرّة أخرى عما قالته عن سيث الليلة السابقة. أمّا داين، فحين وصل مع صديقته، نظر إلى سيث وأخته نظرة ملؤها القلق والارتباك، لكنه سار حول الطاولة ليصافح يد سيث.

قال داين: «تسّرني رؤيتك مجدداً».

أجاب سيث بصدق: «وأنا أيضاً».

رحبوا بسيث بينهم تماماً كما رُحّب بأودرا في الديار: من دون شروط. المفاجأة الحقيقية الوحيدة في السهرة كانت حين اكتشف سيث سبب احتفال أفراد عائلة كونلان. إذا تمَّ كلّ شيءٍ حسب الخطّة، سيكونون قريباً المالكين الجدد الفخورين لمنتجع سايبروك.

من الحديث الذي تبادلوه أثناء العشاء، بدا واضحاً أن الأفكار التي سيستعينون بها لإدارة المنتجع لا تنقصهم مطلقاً. تكلموا بشوق عن خططهم لتجديد الفندق الأساسي والنزل بالإضافة إلى الأكواخ. أحياناً، راحوا يتكلمون مع بعضهم وهم يجيبون عن أسئلة سيث وجولي الكثيرة.

عرف سيث أن أودرا هي المتكفّلة بدفع النصيب الأكبر وبالرغم من ذلك، بدا واضحاً أنها تساهم بأكثر من المال. فهي تملك الكثير من الأفكار التي قدّمتها بحماس كبير.

بالفعل، لم يرها سيث قط مفعمة بالحيوية كما هي الليلة. ترك آلة تصويره في المنتجع، لكنه تمنّى لو أنها معه الآن. إذاً لتمكن من التقاط كل طاقتها وحماستها هذه في ظل ضوء الحانة الخافت.

قالت أودرا: «كنت أفكر في تسمية الأكواخ وأجنحة المنتجع باسم نجوم هوليوود الكبار الذين أقاموا فيها».

سأل داين: «مثل جناح ريتا هيوارت وكوخ جالي غليسون؟».

- تماماً. أظن أنَّ هذا سيحفّز الزوار.

سألت جولي: «ما رأيك لو نسمي إحداها باسمك، أودرا؟».

رأى سيث وجه أودرا يحمرّ قبل أن تنظر إليه. رفع سيث حاجباً، لكنه تصرّف كأن السؤال لم يسأل. ثم أخذت آلي الحديث مجدداً.

- لدى أمي وأبي مجموعة صور كاملة أعطاهما إيّاها أحد المالكين حين استقالا من المنتجع.

قال داين: «أتذكرها».

ثم أردف: «كنت قد تركت ترليوم حينذاك أود، لكن أمي، أبي، آلي،

وأنا جلسنا حول طاولة العشاء في ليلة من الليالي لنرى ما في الصندوق. أتذكر صورة كاري غرانت جالساً على الشرفة الأمامية يقرأ جريدة ترليوم برس وصورة أخرى للانا تيرنر تتمشى على الشاطىء بثياب البحر».

سألته آلي: «وهل تذكر صورة دونالد أوكونور وجين كيلي في المطعم معاً؟».

قالت أودرا: «يمكننا أن نضعها في إطار أنيق ونضعها حيث يمكن للزوار رؤيتها. ستزيد من حِسّ المنتجع التاريخي».

بينما كان سيث يستمع إلى أودرا، لم يستطع إلا أن يتذكر ماضيها. لقد عاشت بحرية وترف كبيرين، وضربت بالقوانين عرض الحائط. تزوجت ثلاث مرّات، وبقيت على قيد الحياة بعد هجوم ابن زوجها المريع. والآن، أدارت ظهرها لعالم هوليوود وماضيها الفاسد، وقامت بالمصالحة مع أختها وابتدأت حياتها في ترليوم من جديد. وشعر سيث أنه... سعيد لأجلها. المسامحة، فكر سيث مجدداً. عرف أن أودرا تسعى إليها، وأدرك الآن أنها تستحقها.

في عملية تجسّدها الجديدة، بدت أودرا أختاً محبّة، وفرداً محترماً وامرأة أعمال حاذقة. في طلبها للمسامحة، انتهت إلى تحقيق هدفها، رغم أن سيث خسر كل شيء.

فاجأ سيث نفسه بالتساؤل ما إذا كان هذا يشمل قلبه. فارتبك لتلك الفكرة، وما لبث أن اختلق عذراً ليغادر باكراً.

١٠ ـ الاعتراف

للمرّة الثانية خلال أيام استيقظت أودرا قبل الفجر، وللمرة الثانية خلال أيام خطّطت لأن تفصح عن كل ما في قلبها لشخص تهتم لأمره، ثم تسعى إلى الغفران. إن نتيجة جهودها مع آلي عزّزت شجاعتها. ستذهب إلى سيث... ستخبره مَن تكون، أو بالأحرى مَن كانت، ثم ستتوقع الأفضل. هذا كل ما يمكنها القيام به.

استحمّت وارتدت ثياباً عادية: سروالاً كاكياً واسعاً وسترة بنية، وأنهت لباسها بوشاح حريري مربوط بطريقة أنيقة. جلست على الشرفة في هواء الصباح البارد وأصابعها ملتفّة حول كوب من القهوة لتتدفأ به، وانتظرت طلوع النهار. كان الفجر قد بدأ يوشح الأفق بألوانه الفاتحة، لكن نوافذ كوخ سيث كانت لا تزال معتمة. بعد خمس عشرة دقيقة من مناقشة ذاتها، وضعت الكوب جانباً ونهضت.

من الواضح أن أودرا لم تتعلم بعد فضيلة الصبر، وأرادت أن تتغلب على هذا الأمر.

كانت رجلاها ترتجفان وهي تمشي تلك المسافة القصيرة إلى كوخ سيث. استنشقت نفساً عميقاً قبل أن تصعد الدرجات الثلاث وتدقّ الباب بعزم شديد. كان عليها أن تدق مرتين بعد، قبل أن يفتح لها سيث أخيراً. بدا شعره مشعثاً وخصلاته مبعثرة، فضلاً عن ظهور شعيرات خشنة تظلّل فكّه. لم يكن يلبس قميصاً بل سروالاً قطنياً ذا ربائط، وفكرت أودرا أنه لبسه على عجل لأنه بدا منشغلاً بربطه حين نظر إليها بعينين شبه مغمضتين.

قالت أودرا: «لقد أيقظتك».

وافق سيث قائلاً: «أتيت في وقت مبكر قليلاً».

عرف الاثنان أنّه أبكر بساعتين من الموعد الطبيعي لنزهتهما، فالضوء بالكاد يُرى في الخارج.

- ادخلي. سأعد بعض القهوة.

كانت أودرا قد تجرّعت كوبين منها وهي جالسة على الشرفة محاولة أن تستجمع شجاعتها، لكنها قالت له: «سأقدّر هذا. شكراً».

في المطبخ الصغير، سحبت إحدى الكراسي من وراء الطاولة، وراقبت سيث وهو يضع حبيبات القهوة في ورقة الترشيح ثم يملأ الإبريق الزجاجي بالماء ويضعه في آلة صنع القهوة.

حين انتهى، اتكأ على المنضدة، وشبك ذراعيه على صدره وسأل أودرا: «هل أنتِ جائعة؟».

- لا، ستكون القهوة كافية.

نظر سيث خارج النافذة وقال: «يبدو الطقس بارداً في الخارج».

- نعم، هو كذلك.

- هل ما زلت ترغبين بالسَّير؟

رطبت أودرا شفتيها وقالت: «ربّما لاحقاً».

أدار سيث رأسه ببطء، ورفع حاجباً وهو ينظر إليها: «والآن؟».

خيَّم الصمت بعد هذا السؤال، لكنه لم يكن صمتاً تاماً. بالإضافة إلى صوت لآلة صنع القهوة، استطاعت أودرا أن تسمع زقزقة العصافير في الخارج بينما كانت خيوط الفجر تتسلل لتنير النهار. أوحى لها هذا الصوت بشيء من الأمل. شيء منعش و... صادق.

نطقت أودرا أخيراً بهذه الكلمات: «أنا لست مَنْ تعتقدها، سيث».

ارتفع حاجباه عندئذٍ وسألها: «ماذا تقصدين؟ لمَ تقولين هذا؟».

- أنا لست شخصاً جيِّداً.

افلتت من حنجرتها ضحكة خشنة بعد أن قالت تلك العبارة، لكنها

لفتت انتباه سيث. جلس إلى المقعد قبالتها ونظر إليها برزانة.

- لمَ تقولين لي هذا؟

أجابت أودرا: «اكتشفت أنك تستحق أن تعرف مَن هي بالضبط المرأة التي تتورَّط معها قبل أن تتطوّر الأمور أكثر».

ثم صعقته بقولها حين أضافت: «أظن أنني أقع في حبك، سيث».

عرف سيث أن شيئاً ما يحدث بينهما، لكن كما هرب منه في الليلة السابقة، فهو الآن لا يستطيع تقبّله. لم يستطع...

- لا تستطيعين الوقوع في حبي أودرا. لا يمكنني... لا يمكنني...

أوقفت أودرا كلماته الجارحة بوضع أصابعها على شفتيه.

- لا أتوقع منك أن تبادلني الشعور نفسه. في الواقع، بعد أن أقول كل ما جئت إلى هنا لأخبرك إياه، لن ألومك إذا لم ترغب برؤيتي بعد ذلك. لكنني أريد أن أكون صادقة. في الواقع، كان يجب أن أكون صادقة معك منذ البداية.

أخذت نفساً عميقاً وهي تنظر إلى الخط المحكم لفم سيث. لم يكن قرارها بالابتعاد عن الرجال مجدياً. اصطدمت مباشرة بهذا الرجل، والمشاعر التي أحستها نحوه تركتها خائفة حتى الموت، ومفعمة بكمية هائلة من الأمل بأنها تستطيع أن تجد في الواقع السعادة الصعبة المنال التي لم تدرك أنها تسعى إليها. لكنها كانت تسعى إليها، لأكثر من عقد...

- أهل ترليوم متكتمون عموماً، ويشكلون جماعات ذات علاقات وطيدة فيما بينهم حين يتعلق الأمر بالتكلم مع الغرباء، لكن إذا مكثت طويلاً هنا، ستسمع أشياء... أفضل أن تسمعها مني شخصياً.

أومأ سيث برأسه بقوة وقال: «تفضّلي».

- قبل أن أبدأ، أريدك أن تعرف أنني حتى لو لم أفعل الصواب دائماً، فأنا أريد أن أكون امرأة صالحة الآن.

علق سيث: «يتطلب الأمر أكثر من الرغبة».

- أعرف ذلك. أظن أنني أدركت هذا حتى قبل موت هنري.

- هنري؟!

تساءلت أودرا لمَ تحمل نبرته معنى التحدي، ولِمَ بدت أكثر من مجرد سؤال؟ أخذت نفساً مقوياً آخر. سأبدأ! قرّرت أودرا.

- كان هنري زوجي.

قال سيث بصلابة: «أنا آسف لخسارتك».

كانت آلة صنع القهوة تحدث ضجة وهي تنهي عملها، فوقف سيث ليأخذ كوبين من إحدى الخزائن. كان ظهره يواجهها عندما سألها: «كم مضى على وفاته؟».

لم ترغب أودرا بالإجابة، فالحقيقة ستجعلها تبدو غير مهتمة تماماً أو مستاءة، وهي لم تكن تشعر بشيء من ذلك. كانت علاقتها مع هنري علاقة صداقة أكثر منها علاقة عاطفية. فهم كلاهما هذا وقبلاه قبل تبادل العهود. كانا مولعين ببعضهما بصدق، حتى لو لم يقعا بحب بعضهما قط.

شرحت أودرا بعضاً من هذه الأمور لسيث: «مضت سبعة أشهر حتى الآن. كان أكبر مني، ولم تكن علاقتنا ناتجة عن قصة حب، لكننا احترمنا بعضنا».

عاد سيث إلى الطاولة مع قهوتهما، واضعاً كوباً أمامها. لسبب ما، لم يبدُ عليه أنه تفاجأ بالأمر. افترضت أودرا أنه بسبب إعطائها اسم عائلة مختلف عن كونلان، استنتج أنّها تزوّجت في وقت ما.

- ظننت أن معظم الناس يتزوجون بسبب الحب.

رطّبت أودرا شفتيها وقالت بنعومة: «ظننت أنني تزوجت بسبب الحب في المرة الأولى».

- في المرة الأولى؟

مجدداً بدت الكلمات تحمل معنى التحدي، وكأنه كان يتوقع منها تجاهل شيء ما.

كان على أودرا أن تبتلع ريقها مرّات عدّة، لكنها لم تكن ستتجاهل شيئاً.

- نعم، تزوجت ثلاث مرّات في الواقع. في حال كنت تعد المرات، فهذا يجعلني مطلقة لمرتين وأرملة لمرة واحدة.

- خلاصة جيّدة.

- ليس فيها ما أفتخر به.

راقبت أودرا نظرة سيث، محاولة التكهن بردة فعله. هل ظنَّ أنها مادّية أو متلاعبة فحسب؟ يمكنه أن يبرع في لعب البوكر، إذ لم تنم تعابير وجهه عن أي شيء.

- هل ستقول شيئاً؟

- ماذا تتوقعين أن أقول؟

هزّت أودرا كتفها وقالت: «لا أعرف».

اشتاقت إلى التدخين. حمل سيجارة سيعطيها على الأقل شيئاً لتملأ يديها. حملت فنجان القهوة وفكرت مجدداً بتلك العلاقات التي أعطت شكلاً لحياتها.

بدأت أحداث حياتها تسوء، كما افترضت أودرا، منذ تصرف أستاذ الثانوية الفاسق. تلك الأمسية هي التي حددت علاقاتها مع الجنس الآخر منذ أيام الثانوية حتى سلسلة زيجاتها المشؤومة. لكن أودرا امرأة بالغة الآن، امرأة جديدة بأفكار جديدة. وهي تتحمل مسؤولية كل خطوة خاطئة خطتها خلال السنوات الماضية.

سألها سيث أخيراً: «أخبريني عن زوجك الأول».

- كنتُ أناهز العشرين حين التقينا، وكنت بسيطة جداً رغم أنني كنت أعتقد أنني أعرف كل شيء.

ضحكت أودرا بأسى.. كم كانت متعجرفة ومختلفة عن الآخرين! أضافت: «مَكثت في كاليفورنيا سنة تقريباً وكانت مدّة كافية لأكتشف أنني لا أملك مالاً أو موهبة يكفيان لأبقى في عالم هوليوود لمدة طويلة».

قال سيث: «ذكرت مرة أنك أردت أن تكوني ممثلة».

وأردف: «هل كان يعمل في هذا الميدان؟».

- نعم.. كان منتجاً. التقيته خلال تجربة أداء. لم آخذ الدّور، لكنه دعاني إلى تناول الغداء خارجاً. كان يكبرني بعشرين سنة، لكنه كان وسيماً، فاتناً وقوياً. ظننت أنني المرأة الأكثر حظاً في العالم حين طلب مني الزواج به.

ولأن سيث سيكتشف كل هذا في النهاية، أضافت أودرا: «اسمه ريد هوارد. ربّما سمعت عنه».

- سمعت عنه.

ابتلعت أودرا ريقها بصعوبة، منتظرة منه أن يقول إنه يعرف مَنْ تكون، لكنه بدلاً من هذا، سألها: «لمَ لا تقولين لي ما الذي حدث؟».

رغم عزمها بأن تكون صريحة، ارتباكها جعلها تجيب بمراوغة.

- لم ننسجم معاً.

- اختلافات غير قابلة لأن تصلّح؟

- هذا كان السبب الذي ذكرته في مذكّرة الطلاق، نعم. لكن الأمر أكثر من ذلك.

أكثر بكثير في الواقع، وقسم كبير منه كان خسيساً. تنحنحت أودرا وقالت له ما لم تقلهُ لمخلوق آخر: «أراد أن يكون له زوجة وعشيقة... في الوقت نفسه».

- آه، خانك إذاً؟

- نعم. حسناً! في الواقع، أرادني أن... أتخذ لنفسي عشيقاً أنا أيضاً إذا... فهمت قصدي.

شعرت بالإهانة تعكس حرارتها على وجنتيها، ورأت الفهم يتّضح في نظرته المتمعّنة، رغم ذلك، لم تبعد نظرها عنه.

قال سيث مجدداً: «آه! وهل فعلت؟».

- لا! أنا لست قدّيسة، لكن لا... لم أفعل. حين بدأت بإجراءات

الطلاق، بدا متفاجئاً حقاً. أظن أنه اعتقد أنني سأقبل بالترتيبات من دون أي أسئلة.

لا تزال أودرا تشعر بالخجل لأنها أعطت ريد ذلك الانطباع عنها تقريباً. لربما بدت أودرا مثالاً للفتاة المستهترة المتباهية بجمالها للكثيرين في هوليوود، لكنها بقيت محدودة التفكير بلا شك في بعض الأمور. ما حدث في غرفة النوم كان من إحداها، ويمكنها أن تكون شاكرة لذلك الآن.

- ثم تزوّجت مجدداً.

- بعد سنة.. نعم.

هزّت أودرا رأسها، متألمة من الذكريات وغير راغبة في إزاحتها جانباً، بالرغم من ذلك. يجب أن نواجه الماضي قبل أن نتركه يرتاح.

- ظننت أنني أعرف ما الذي أفعله. ظننت أنني كبرت ونضجت بعد الزواج الأول. لم أحبّه... أظنني عرفت هذا قبل أن يطلب مني الزواج، لكن يومها بدا لي أن هناك علاقة حب كعلاقة أمي وأبي في هوليوود. وبدا أنه يريد مساعدتي... لأتحسّن.

- تتحسّنين؟

رطّبت أودرا شفتيها.

- اتهمني بعضهم بأنني فاسقة. وكان كامدن لديه الكثير من الاقتراحات لمساعدتي على حسن التصرف. كطريقة ارتدائي لملابسي، وتسريحة شعري، وأشياء كهذه. قدّرت نصيحته فعلاً حين كنّا نتواعد.

- وبعد زواجكما؟

قالت أودرا، متذكرة التعليقات الكثيرة التي خدشت كبرياءها: «أخذت النصيحة شكل الانتقاد الدائم أكثر. كان لكامدن طريقة حقيقية مع الكلمات».

ارتفع جانب من فمها في ابتسامة ساخرة.

- أظن أنك تستطيع القول إنني ثِرت. لطالما برعت في هذا.
- وهكذا تطلّقت.
- نعم. سريعاً... قبل عيد زواجنا الثاني.
- ثم تزوجت بالثالث؟

سأل سيث هذا السؤال رغم أنه عرف تماماً الترتيب الزمني للأحداث. تساءل ما إذا كانت أودرا ستتغاضى عن علاقتها بترنت كاين، ربما لن تذكر الممثل مطلقاً أو تلك السيارة التي تحطّمت بحادث مميت أصابه بعد مغادرة حفلة أودرا وقيادة سيارتها.

أجفلت أودرا وقالت: «لا».

وأردفت: «يا إلهي، ستبدو حياتي مثل فيلم تلفزيوني سيء حقاً، لكن الحقيقة هي أنني تورّطت مع شخص آخر.. شخص مدمن».

- أليس هذا ما يسمى الانتقال من حالة سيئة إلى أسوأ؟

همهمت أودرا: «تماماً! أستطيع فهم ذلك الآن. أستطيع أن أرى إلى أي حد دمّرت نفسي. لكنه إدراك متأخر».

- لِمَ لمْ تتركيه؟ لم تكوني بحاجة إلى الطلاق لأنك لم تتزوجيه. كان بإمكانك أن ترحلي فحسب.

- فكرت بالأمر كثيراً، لكنه كان لطيفاً ومفكراً حين لا يكون صاحياً. وبقي يعدني بأنه سيمتنع عن كل هذا. قال لي إنه بحاجة لي فبقيت. ظننت أنني أستطيع مساعدته. أردت أن أفعل شيئاً لأغيّره. كنت تعبة جداً من الفشل.

قسّى سيث قلبه ضد الشفقة التي بدأت تهدّده، فهو يعرف تماماً كيف انتهى هذا الفصل من حياتها.

- هل جرّبت أن تسجّليه في مركز لإعادة التأهيل أو جعلته يخضع لأحد البرامج المخصصة للمرضى الخارجيين؟ هل كانت هذه الطرق التي ساعدته بها؟

توهج الغضب القديم الدفين توهجاً كبيراً في داخله فتساءل سيث

كيف استطاع أن يبقي تعابيره جامدة.

- لا! توفي في حادث سيارة.

نظرت أودرا بعيداً حين قالتها في البدء، لكنها واجهته الآن وأضافت بإيجاز: «كان اسمه ترنت كاين، الممثل... أنا متأكدة أنك سمعت عنه».

هزّ سيث رأسه. آه! نعم، لقد سمع بترنت كاين.. لكنه لم يتفوّه بكلمة. عوضاً عن هذا، انتظر راغباً من أودرا أن تكمل ما تبقّى.

قالت أودرا في النهاية: «كان في حفلة في منزلي في بيغ سور».

- دعوة مدمن إلى الحفلة ليست تصرفاً ذكياً، أليس كذلك؟

أجابت أودرا: «لم تكن من ذلك النوع من الحفلات... كانت مخصّصة للأطفال. أقيم واحدة كل سنة كي أجمع المال لمؤسسة خيرية متخصّصة برعاية الأولاد المستغلّين. أتى الكثير من الزملاء في هوليوود، وكذلك الأولاد أيضاً، وعرف ترنت أنني لم أكن لأسمح له بتناول أي شراب أو مادة مخدرة في منزلي».

- ماذا؟

تفاجأ سيث حقاً، لكن أودرا لم تفهم السبب.

أوضحت أودرا: «قمت بخيارات غبية كثيرة من دون أي مساعدة من مواد غير شرعية».

- لا، قصدت الحفلة.

- آه! أظن أنها كانت طريقة لأبرهن لنفسي أن روحي لم تكن شريرة بالكامل. لي صديقة تعمل في مؤسسة خيريّة جعلتني أعمل مع «ملاذ الأطفال» منذ ست سنوات. أبقيت شراكتي سرية مع هذه المؤسسات التي أدعمها كثيراً.

فكر سيث بكلمات أودرا ملياً، محاولاً تكذيبها. لم يسمع قط هذه الصيغة من الأحداث. قال تقرير الشرطة إن ترنت كاين كان في حفلة في منزل أودرا كونلان هوارد ستوفر، وتشاجر الاثنان فغادر كاين في سيارتها

ثملاً، وبالكاد وصل إلى ميلين بعيداً عن منزلها حتى اصطدم مع سيارة صغيرة على الطريق، وانقلبت السيارتان فوق السّياج.

استخلص سيث استنتاجاته الخاصة من تقرير الشرطة هذا، عن طريق تحليله ما كتب عن الحادث. بالإضافة إلى ذلك، فقد كانت أودرا امرأة مشهورة وغنية، ولا بد أنها تلقت معاملة خاصة فلطالما رأى ذلك يحدث مع المشاهير أثناء عمله كمصور للصحيفة.

أبقى سيث نبرته هادئة نوعاً ما حين قال: «قرأت أن معدل الكحول في دم ترنت كاين كان ٣، ٢ وأن تقريراً في علم السموم وجد هيروين ووصفة دواء مسكّن وقت الحادث. ظننت أنك قلت إن المخدرات كانت ممنوعة في الحفلة».

- بالتأكيد! وعدني ترنت أنه سيبقى رزيناً، لكنه كذب علي. قررت أن أتجاهل الأمر ما دام الزوار الآخرون موجودين، لكن حين غادروا، واجهته، وتشاجرنا.

تكورت يدا سيث في قبضتين ثم لامها بنعومة: «بالرغم من ذلك سمحت له بالمغادرة».

- لا! أخذت مفاتيحه وخبأتها في نبتة موضوعة في قِدر. قلب منزلي رأساً على عقب وهو يفتش عنها. لم أره قط بهذه الحالة العصبية. راح يشتم ويصرخ ويرمي الأشياء...

استغرقت أودرا في ذاكرتها، ولمست الندبة ذات الشكل الهلالي على صدغها. الندبة التي قبّلها سيث مرّة. هل هذه الندبة هي نتيجة شجارهما؟

أعطاها سيث الجملة الذي لطالما آمن بها: «وهكذا، أعطيته المفاتيح».

لكن أودرا هزّت رأسها نفياً.

- عثر على حقيبتي فأخذها. وصل إلى خارج الباب قبل أن أستطيع إيقافه. ثم... مات.

- ثلاثة أشخاص ماتوا أيضاً في ذلك النهار.

قالت أودرا: «عائلة».

وقد أدهشته كلماتها التالية: «جون وإلين وورس وابنتهما المراهقة لي آن».

- أتعرفين أسماءهم؟

أراد سيث أن يعتقد أنّ أودرا لم تُعر انتباهاً دقيقاً، أو أنها إذا عرفت أسماءهم، فلن تهتم لأن تتذكرها بعد سنتين، لكنها فعلت. في الواقع، قالت: «لن أنساهم أبداً. اتصلت بالشرطة بعد أن غادر ترنت، لكن حين ضبطوه، كان الوقت قد فات».

بالإضافة إلى الطنين في أذني سيث، سمع أودرا تقول: «وبعد ذلك، تزوجت مجدداً من شخص أكبر سناً، هو هنري دايتون وينفلد الثالث».

ثم سوّت طريقة جلوسها وسألت: «إذاً، هل تعرف مَنْ أنا، سيث؟».

قبل اليوم، كان سيث واثقاً من ذلك بكل ما للكلمة من معنى، أمّا الآن، فهزّ رأسه نفياً وقال: «قولي لي».

- أنا أودرا كونلان هوارد ستوفر وينفلد.

بعد أن قالتها، اقترب سيث من الوشاح المربوط على عنقها وأفلته، كاشفاً عن الرضوض الدائرية التي كادت تختفي.

قالت بضحكة ممتلئة بكره الذات: «هذا صحيح!».

ثم أكملت: «أنا هي التي خُنقت حتى الموت تقريباً من قِبل ابن زوجها الشهر الفائت. تستمر قصتي بقرف أكبر، أليس كذلك؟».

لم يُجب سيث، وبدلاً من هذا وضع يداً على عنقها، مخبئاً العلامات بأصابعه. مر وقت بعد الحادث تماماً، اعتقد فيه سيث أنه يرغب في قتلها، فقد كان غاضباً وكئيباً جداً، ثم استقر رأيه على معاقبتها بطريقة قاسية عبر التقاط صورة فاضحة لها. لكن على الرغم من الارتباك الذي أصابه، وجد نفسه راغباً في مسامحة أودرا والتقرب بحذر منها منذ قدومه إلى ترليوم. أما الآن، فلم يعد يستطع التفكير بوضوح.

همست أودرا حين أنزل يديه عنها واستمر في التحديق فيها: «قلت

لكَ إنني لست شخصاً جيداً».

أفضت أودرا له بكل التفاصيل الخاصة بحياتها منذ بداية الحديث بينهما واستمرت كذلك في ما تبقى منه كأنها تؤكد على الفكرة. تفاصيل كان ديك ويلينغ منتظراً بشوق ليتشاركها مع بقية العالم في كتابه الشامل. لكن سيث كان متردداً في إرسال أي شيء إلى ديك منذ وصوله إلى ميشيغان. والآن، عرف أنه لن يستطيع الوفاء بوعده له.

أخذت أودرا رشفة أخرى من قهوتها التي بردت الآن، وجاء صوتها أقوى حين قالت: «ارتكبت الكثير من الأخطاء في حياتي، لكنني لا أعتبر ما حصل بيننا واحدة منها. بعد كل ما قلته لك اليوم، أتفهم إن لم تشأ رؤيتي بعد الآن».

وقفت بعدئذٍ ووصلت إلى خارج الباب قبل أن يستطيع التحرك من مكانه.

أمضى سيث بقية الصباح ومعظم النهار يحلّل اعتراف أودرا. لم يثق بأفكاره التي قبلت صيغة الأحداث كما رَوَتها أودرا عن الحادث، رغم أنه أراد ذلك، لذلك حمل الهاتف وقام ببعض الاتصالات. بعدئذٍ، شعر بالحيرة مجدداً.

أكّد محقق في الشرطة يعرفه سيث جيداً منذ عمله في صحيفة التايمز أن الحفلة التي استضافتها أودرا كانت مخصَّصة لجمع المال للأطفال المستغلّين الذين تُساء معاملتهم، بالرغم من أن أودرا أصرّت وقتها على عدم ذكر اسم المؤسسة الخيريّة واشتراكها معها لحمايتها من الدعاية السلبية.

بدت بقية قصتها صحيحة أيضاً. خبأت مفاتيح كاين وحاولت منعه من أخذ سيارتها، إلا أن جهودها ذهبت هباء. بعد أن أقلع كاين بالسيارة، اتصلت أودرا بالشرطة لتبلّغ أنه ليس بحالة طبيعية. لم يصدّق سيث القصة التي أخبرتها أودرا للشرطة وقتها. أما كان باستطاعتها أن تمنع كاين من المغادرة؟ الآن، لم يعد متأكداً.

كذلك أعطى المحقق سيث بعض الأخبار الشيّقة التي جعلت كل أهل لوس أنجلس مهتاجين. بدا أن محامي أودرا طلب أن تُسقط الاتهامات ضد ابن زوجها على شرط أن يحضر صفوفاً للتحكم بالغضب، ويقوم بتبرّع كبير لجمعية القلب الأميركية باسم أبيه المتوفي. وقال مصدر آخر لسيث إن أودرا وظّفت القسم الأكبر من أموال هنري في صناديق تأمينية لأحفاده، وخصصت مبلغاً محترماً لجامعة هارفرد. وقد خُصصت أموال أيضاً للطاقم الذي يعمل في ملكية برنتوود التي حُوّلت لحساب سائقها.

طائشة، مخادعة، طمّاعة، أنانية، كل الصفات التي اعتقد سيث أنها تلائمها تماماً لم تعد كذلك قط. في الواقع هي لم تلائمها منذ فترة من الوقت، إلاّ أنه أصرَّ على عدم الاعتراف بذلك.

أدخل سيث القرص المُدمَج في حاسوبه النقّال واطّلع على الصور التي التقطها في الأسابيع القليلة الماضية، واستخرج بعضاً منها. ثم انتقى بضع صور التقطها في كاليفورنيا. كان التغيير في أودرا جلياً وقد سجّله سيث بدقة، أما الآن فراح يتمعّن بالصور التي نشرها على طاولة المطبخ، تاركاً هذه الصور تخبر القصّة... وهذا ما فعلته!

لم يحب سيث المرأة التي تحوّلت إليها أودرا، ذلك أنه لم يستطع أن يضع المرارة التي شعر بها على مأساة عائلته جانباً.

أما الآن وقد بات يعرف عنها أكثر، وجد نفسه يحاكمها بقساوة أقل.

لم يكن الأمر يحتاج إلى شهادة في علم النفس لجمع الأحداث من ماضيها. نشأت أودرا وهي تعاني من مقارنات ظالمة مع أختها التوأم الذكية، كما تعرضت لمحاولات معلمها غير الملائمة لإقامة علاقة معها. لقد تركت أودرا حياة آمنة نسبياً لتجد نفسها منغمسة مع مشاهير هوليوود. أُهينت وأسيئت معاملتها من قِبل زوجيها الأولين، ثم تورطت في علاقة مع شخص سيء قبل أن تسعى إلى الأمان مع رجل هو صورة عن أبيها.

الطريقة التي تصرّفت فيها أودرا والأشياء التي قامت بها قبل هذا الوقت أغضبت سيث بل أفزعته، لكن الآن، فهو يقدر الطريقة التي تغلبت فيها على حزنها وعلى خياراتها السيئة، كذلك الطريقة الصادقة التي واجهت بها ماضيها. تطلب الأمر منها شجاعة قصوى للاعتراف بالأخطاء وللبدء من جديد.

مشى سيث باتجاه النافذة بخطى موزونة متسائلاً ما إذا كان يملك أخيراً تلك الشجاعة نفسها. إذا كان يملكها، فهو يدين لأودرا بالاعتراف.

تكمن السخرية في أنّ سيث عزم لسنتين أن يجعلها تدفع ثمن خطأ لم ترتكبه فعلاً. أقنع نفسه بأنه كان في حملة وأن ما فعله كان مبرراً. أراد بكل جوارحه ألاّ يلاحظ طيبة أودرا التي لطالما رآها فيها لأنه عرف في داخله أنه كان من أسوأ أنواع المخادعين، فعاقبها على عيوبه الوقحة. إلا أنه تمكن الآن من النظر إلى دوافعه بمنظار جديد.

مرّة أخرى، انهالت عليه الكلمات المؤلمة التي تبادلها مع زوج أمه يوم الحادث كنثرات الزجاج... مرّة أخرى حرقته تعابير أمه وأخته المحبطتين.

همس سيث: «أنا آسف جداً... آسف على كل شيء».

غطى وجهه بيديه، وانتحب بصوت أجشّ حين تراءت له الفكرة. لم تكن أودرا الشخص الذي لم يستطع مسامحته خلال هاتين السنتين الماضيتين، بل هو نفسه.

١١- من هنا تشرق الشمس

لم يتمكن سيث من النوم تلك الليلة. جلس في مطبخ الكوخ الصغير مرتشفاً ببطء قهوة فاترة، ومحدّقاً بالصور المنتشرة على الطاولة. شعر بالخجل من نفسه، ومن كل موقع وضع أودرا فيه بسبب عماه وعدم قدرته على تقبّل ذنبه.

في ساعات الصباح الأولى، فيما الظلام ما زال محيطاً بالكوخ، توضّحت له أشياء كثيرة.

الأمر الأول، بل الأهم، هو أن أودرا تستحق معرفة الحقيقة. لقد تحلت بالشجاعة لتبوح له بكل ما في قلبها، ولتعترف بهويتها الحقيقية. الآن، يدين سيث لها بالمعاملة الحسنة نفسها.

كيف تراها ستتصرف حين تعرف أنه هو نفسه سكوت سميثفلد؟ هل ستسامحه لكونه المصور الذي لاحقها بطريقة فظة جداً خلال السنتين الماضيتين؟

حين غادرت أودرا الكوخ بعد اعترافها لسيث بكل شيء، أكّدت له أنها ستتفهم موقفه إذا ما قرّر عدم رؤيتها مجدداً. حسناً! بعد أن يدلي هو باعترافاته الفظيعة، ما من ضمانة بأن ترغب أودرا برؤيته ثانية.

هذا هو المأزق!

إذا أراد سيث أن يكون صادقاً مع نفسه، عليه الاعتراف بأن مشاعره نحوها هي أعمق وأكبر من البحيرة الكبيرة التي تحيط بترليوم.

أتراه واقع في حبها؟

تجاهل مشاعره قبل هذا النهار، إلى أن قالت له أودرا إنها تحبّه، لكنه

لم يعد يستطيع نكرانها الآن. لم يعد الأمر يبدو مناسباً الآن للتساؤل عن كيفية حدوث ذلك. بعض الأشياء يجب القبول بها كما هي فقط.

علّمته أودرا هذا، كما علمته أشياء أخرى بعاطفتها الهادئة والقوة المفاجئة لشخصيتها.

حين بزغ الفجر، كان سيث يقف على شرفته فيما فتحت أودرا باب كوخها. وقفا على الشرفتين المتقابلين لبضع لحظات مقلقة، والأسئلة معلقة بينهما في هواء الصباح البارد. أخيراً نزل الدرجات على مهل والتقى أودرا على الطريق أمام كوخها.

يا إلهي! بدت رائعة الجمال بشعرها الكثيف المنتشر حول وجهها وعينيها اللامعتين اللتين تحملان أملاً بنهار جديد. كانت ترتدي سروال جينز وقميصاً بيضاء بسيطة تكشف عن عنقها. لم تعد تخفي شيئاً قط. هو أيضاً لا يريد أن يخفي شيئاً بعد اليوم. قالت أودرا وهي تدخل يديها في جيبي سروالها الأماميتين وتجرجر مقدمة حذائها في الحصى: «مرحباً!».

- مرحباً!

نظرت إلى السماء الزرقاء وقالت: «يبدو النهار جميلاً».

نظر سيث إلى السماء أيضاً، هامساً صلاة خافتة متمنياً أن يكون النهار جميلاً فعلاً، ثم قال: «هل تأتين معي، أودرا؟».

ارتجفت ابتسامة على شفتيها حين رفع سيث يديه وشبكت أصابعها بأصابعه.

قالت له أودرا: «لا أعرف ما إذا كنتَ مستعداً لنزهة اليوم. تركتك مع الكثير لتفكر به البارحة».

وافق سيث قائلاً: «أكثر ممّا تتصورين».

ثم أخذ نفساً عميقاً وقال: «بالرغم من ذلك، لا أريد أن أقوم بنزهة الآن... ربّما لاحقاً. أريدكِ أن تدخلي إلى الكوخ. هناك... هناك بعض الأشياء التي أحتاج أن أريك إيّاها».

بالرغم من أن جبينها تغضن في حيرة، سارت أودرا معه. أدرك سيث أنها تثق به، وشعر بالانزعاج مرة أخرى بسبب غشّه لها.

حين دخلا إلى المطبخ، تداعت شجاعته، فدفعها إلى ذراعيه. إنه يحتاج إلى دقيقة واحدة بعد... دقيقة أخرى قبل أن يزيل القناع ويحدّد مستقبله. أخفض رأسه وعانقها عناقاً حاراً، متذوّقاً حلاوتها، علها تبقى في ذاكرته إذاما نبذته لاحقاً. بعد قليل أنهى عناقه لها وأراح جبينه على جبينها.

همست أودرا: «سيث!».

مجرّد ذكرها لاسمه أغضبه جداً.

تراجع سيث ووضع يديه على الوجه الذي لطالما خدعه.

- أنا آسف جداً، أودرا!

بالطبع، أخطأت أودرا في فهم سبب اعتذار سيث فقالت: «لا عليك. أفهم، حقاً... ما قلته لك البارحة بحاجة إلى الوقت الكثير لتستوعبه. أنا مسرورة فقط لأنك صدقتني عندما قلت إنني تغيّرت».

- بالطبع أصدقك. أنت امرأة رائعة، وشجاعة أيضاً، وأنا أقدّرك على هذا. آمل أن تصدقي هذا بعد أن... بعد أن أقول ما أحتاج إلى قوله لكِ.

أمالت أودرا رأسها إلى جهة واحدة، عابسة: «ما هو؟ ماذا تقصد؟».

خطط سيث لأن يمهد للحديث، بأن يعطيها بعض المعلومات كخلفية لما سيقوله، كي لا يأتي اعترافه من الفراغ، لكنه في النهاية قرّر أن تخبر الصور نفسها القصة كلها. هكذا! أومأ بيده إلى الطاولة حيث انتشرت مجموعتان مكونتان من اثنتي عشرة صورة بالألوان تمثل خيانته، وهي منظمة حسب الترتيب الزمني.

قالت أودرا وهي تتجاوزه: «أخيراً ستسمح لي برؤية عملك؟».

- نعم!

لكن بالطبع عرف سيث أنها ليست المرة الأولى التي ترى فيها أودرا

صوراً ممهورة باسم سكوت سميثفلد.

حبس أنفاسه، منتظراً أن تتوضح الأمور لها. مشت أودرا باتجاه الطاولة وراحت تبتسم حين حملت صورة تظهرها وهي منحنية لتتمعن في مجموعة ترليوم في الغابة. لقد التقطها في أول نزهة صباحية لهما حين لحقها إلى الغابة، غير مدرك إلى أين ستقوده. يومها التقط نظرة تساؤل على وجهها.

- آه! سيث، هذه الصورة رائعة. لديك نظرة جميلة. أريد نسخة عنها.

ثم انتقلت نظرة أودرا بسرعة إلى الجهة الخلفية من الطاولة، وقالت حين وصلت إلى صورة تظهرها وهي تقذف بأحجار صغيرة على سطح البحيرة الناعم: «وعن هذه أيضاً».

لكنها نظرت بعدئذٍ إلى تلك الصور الواقعة في أبعد زاوية من الطاولة وانعقد حاجباها في تجهّم.

- من أين حصلت على هذه؟

حملت أودرا صورة تظهرها وهي مغادرة من مقهى ليلي في لوس أنجلس. بدا كأن عمراً بأكمله مر منذ أن رأى سيث أودرا بهذه التنورة القصيرة والقميص التي تكشف عن بطنها، وشعرها المصبوغ باللون الأبيض تقريباً، وكل خصلة فيه ممسّدة بإحكام. كان تبرّجها صارخاً والخط الذي يحدد عينيها ملطّخ. كانت تمدّ لسانها لشرطي يقحم بطاقة مخالفة تحت ممسحة الزجاج الحاجب للريح لسيارتها ذات السطح المتحرك.

- من أين أتيت بهذه الصور؟

سألت أودرا مرّة أخرى بصوت أعلى وهي تنقل نظراتها من صورة بشعة جداً إلى أخرى، ثم تمسكها بإحكام في يديها المرتجفتين.

- أنا التقطتها!

تغيّرت نبرة صوته فجأة، واضطر لأن يتنحنح قبل أن يكمل: «أنا

التقطتها كلها، أودرا... وهناك المئات مثلها أيضاً. هذا ما أفعله لأكسب عيشي».

هزّت أودرا رأسها، غير مستعدة فعلاً لتصدّقه.

- لكن هذا يعني... هذا يعني أنّك...

قاطعها سيث قائلاً: «عرفت مَنْ تكونين منذ اليوم الأول الذي أتيت فيه إلى ترليوم... في الواقع... مجيئي إلى الجزيرة لم يكن صدفة. لحقتُ بك إلى هُنا من لوس أنجلس بعد حادثة الاعتداء عليك».

حدّقت أودرا مرة أخرى بعينيها الواسعتين إلى الصور كافة قبل أن تلتقي نظراتها بنظرات سيث. رأى سيث عدم التصديق يختلج فيهما لفترة قصيرة قبل أن يستقر الاحساس بالقبول.

- يا إلهي! أأنت هو...؟ أ أنت سكوت سميثفلد؟

تمنى سيث لو أنه يستطيع نكران الأمر. لم يكن يريد أن يكون ذاك الرجل الحاقد العديم الإحساس. لكن إذا كان هناك شيء واحد تعلّمه من خلال مراقبة أودرا طيلة الأسابيع الماضية، فهو أنه يجب أن يعانق الماضي قبل أن يتحرّر منه.

- اسمي الحقيقي هو سيث ريدلي، لكن.. نعم، أنا سكوت سميثفلد. هذا هو الاسم الذي أعتمده في عملي.

قالت أودرا: «وأنت تعمل مصوراً للصحف الصغيرة».

أصدرت أنيناً خافتاً من بين شفتيها، وغطّت الدموع عينيها، ثم قالت: «أنت هُنا فقط لتلتقط صوري».

هزّ سيث رأسه بالإيجاب مجدداً، وابتلع كمية كبيرة من الندم الذي جعل الكلام صعباً جداً، ثم أكمل اعترافه.

- نعم. جئت من أجل عمل حصري، بهدف جمع صور ومعلومات لتُنشر في كتاب شامل يطبعه شاب أعرفه. وعدته بتقديم أفضل عمل لي.

تدفقت الدموع على خدّيها، لكن نبرتها أصبحت أقوى حين سألت: «هل حصلت على ما تريد؟ هل حصلت على ما جئت لأجله؟».

هزّ سيث رأسه بالنفي.

اتسعت عيناها وقالت: «لماذا؟ أنا متفاجئة! لطالما كنت موضوعاً دسماً للملاحقات والمقالات».

- لطالما كنتِ كذلك، نعم. أنا آسف أودرا.

اقترب سيث منها، لكنها تراجعت وأجبرته على إبعاد يده عنها.

- ظننتُ أنني... ظننت أنّكَ...

أغمضت أودرا عينيها، وهزّت رأسها يميناً و يساراً، ثم قالت: «يا إلهي! لا أصدّق مدى غبائي. لا بدَّ أنك كنت تضحك مني طوال الوقت حين كنت أسرد لك أحداث حياتي البارحة، فقد عرفت مسبقاً كل جزء منها».

- لا! ظننت أنني أعرف. ظننت أنني أعرف كل شيء عنك قبل أن آتي إلى ترليوم، وقبل أن أمضي وقتاً معكِ، وأدرك أنني لا أعرف أودرا هذه مطلقاً.

همست أودرا: «امرأة جديدة بأفكار جديدة».

ثم وضعت يدّها على حنجرتها وقالت: «بالعودة إلى كاليفورنيا... تلك الليلة التي حاول ابن هنري أن يخنقني... كنتَ هناك. أنتَ... أنتَ أنقذتَ حياتي».

هزّ سيث رأسه إيجاباً، لكنه عرف أنه ليس بطلاً.

- فعلتُ المستحيل لأوقف ذاك الهجوم.

- لماذا؟ ماذا فعلت لكَ؟

جاءت ضحكة سيث فجة، وكأنه يضحك من ذاته.

- لا شيء. تبيّن لي أنك لم تفعلي شيئاً، لكنني اعتقدْتُ أنك فعلْتِ، أو بالأحرى أردْتُ أن أعتقد ذلك.

- لا أفهم!

أخذ سيث نفساً عميقاً، وبعد أن أطلق زفرة قال: «جون وودس هو زوج أمي، إلين وودس هي أمي، ولي آن وودس هي أختي».

- لا! آه... يا إلهي! سيث... لا!

رأى سيث أودرا تستجمع قواها مجدّداً، ورغم ذلك أكمل اعترافه، مصمماً على أن يبوح بآخر تفصيل منه.

- ظننت أنكِ سمحتِ لترنت كاين أن يغادر منزلك ثملاً... ظننت أنك أنت من أعطيته سيارتك ليقودها.

- أتعني أنك وضعت اللوم علي؟

- نعم.

قالت أودرا بهدوء: «يا إلهي! لا بدّ أنك كرهتني».

فرك سيث يده على عينيه وابتلع ريقه بصعوبة.

- نعم.. أردتُ هذا. حتى بعد مجيئي إلى هُنا وتمضية وقتٍ معكِ، أردتُ أن أكرهكِ، لكنني لم أقدر... لفترة معينة كرهْتُ نفسي اعتقاداً مني أنني أقع في حبّ المرأة التي لطالما افترضت أنها ساعدت في تدمير عائلتي.

أغمضت أودرا عينيها، محاولة استيعاب ما يقوله لها سيث. كيف أمكن أن يكون سيث ريدلي وسكوت سميثفلد الشخص نفسه؟ وطالما أنهما كذلك، ماذا سيحلّ بعلاقتها مع سيث؟

همست أودرا، ناظرة إلى بعض الصور التي التقطها: «لقد نجحت دائماً في التقاط أكثر لحظاتي الفاضحة».

وأضافت: «مرت أوقات كنت أتمنى فيها الموت لنفسي عندما أرى غلافات الصحف الصغيرة».

قال سيث بمرارة: «سلّطت الضوء على حياتك، قائلاً لنفسي إنني كنت في حملة... لم يكن عملاً نبيلاً قط. أظن أنني بدأتُ أدرك هذا منذ وصولي إلى هُنا، وتأكدت من ذلك البارحة. أودرا... حملتُك مسؤولية شيء لم تفعليه لأنني لم أستطع مواجهة ضميري المتعب».

- ماذا تقصد؟

أخبرها سيث عن خلافه مع زوج أمّه وعن الكلمات الفظة التي قيلت

قبل الحادث مباشرةً.

أخيراً همس بصوت أجشّ: «لا أستطيع أن أتراجع عن أيّ منها الآن... قالت أمي إنها ستنتظر اعتذاري لجون قبل أن أصبح موضع ترحيب في منزلها مجدداً، والآن لم يعد أي منهما هنا لأعتذر له».

تهدج صوت سيث، وانسحق قلب أودرا. ستتان هما فترة طويلة جداً لتحمّل ذلك النوع من الألم. إنها أدرى الناس بذلك. لقد أمضت أكثر من عقد وهي تتمنى أن ترجع وتصلح الأمور، فكيف يمكنها ألا تظهر الرأفة للرجل بينما هي فعلت الكثير من الأمور التي عادت وندمت عليها؟

بالإضافة إلى ذلك، هناك شيء واحد تعرفه بالتأكيد، وهو أنه لا يمكنها أن تبدأ من جديد وهي تحمل المرارة والغضب في قلبها.

قالت بهدوء: «أنت لم تسلّط الضوء على حياتي سيث، لقد عكستها تماماً في المرآة. لم أكن قديسة، ولا بريئة، ولا ضحية. أنتَ التقطت الصور، لكن أنا في النهاية من اتّخذت الوضعيّات لها».

هزّ سيث رأسه يميناً ويساراً.

- لم تستحقي الطريقة التي عاملتك بها... كنت مخطئاً بشأنك. كنت مخطئاً بالطريقة التي تبعتك فيها. أنا آسف بشأن ذلك، أودرا. أنا آسف لكل شيء.

هزّت أودرا رأسها إلى الأعلى والأسفل. تفاجأت أودرا لأنها وجدت قبول اعتذار سيث سهلاً. تساءلت: هل الحب هو السبب؟ أهو ما جعل تقبل الكثير من الأشياء وتفهمّها سهلاً؟ أهو ما لطّف من تأثيرات الصدمات والمشقّات؟ ألم يقل سيث إنه وقع في حبها أيضاً؟ ربّما ما يزال هناك أمل لنهاية سعيدة.

- أسامحك!

عبارة بدت أهميتها الآن لكليهما تماماً كأهمية العبارة الأخرى التي أرادت أن تقولها له: أحبك!

ثم، كما فعل سيث حين وقفا خارج الكوخ، رفعت أودرا يدها له.

أدركت في تلك اللحظة أن عليها، ليس فقط أن تهب السّماح لسيث، بل عليها أن تعلّمه كيفية مسامحة نفسه.

أكّدت وهي تشدّ على يده بحزم: «أنت محق بقولك إنك لا تستطيع أن تتراجع عن الكلمات التي قلتها والأشياء التي فعلتَها، لكنك تستطيع أن تجد السلام وتكمل الطريق».

همس سيث: «كيف تجدين السلام؟ كيف تكملين الطريق؟».

رفعت أودرا أيديهما المتشابكة وقبّلت ظاهر يده، ثم سألته: «أترافقني خلال النزهة؟».

هزّ سيث رأسه موافقاً، غير واثق من قدرته على الكلام.. وبعد قليل شقّا طريقهما نحو ممرّ الحصى ثم نحو الغابة. في خلال الأسابيع التي أمضاها سيث في ترليوم، بدأ الغطاء النباتي ينمو وبدأت الأشجار تُنبت أوراقاً جديدة، لكن سيث ما زال يستطيع أن يلمح البحيرة، ومنظرها في هذا النهار أعطاه شعوراً غريباً بالأمل.

قالت له أودرا بينما كانا واقفين على الرمل المواجه لبحيرة ميشيغان الزرقاء الرائعة، وهما ينظران إلى سماء الصباح الصافية: «هذه الوجهة الخاطئة لشروق الشمس، لكنها ستشرق على أي حال».

أغمض سيث عينيه، ووقف مصغياً إلى ارتطام المياه برفق على الشاطىء. بدا الإيقاع مريحاً ومسالماً. تذكر كيف بدت أودرا في ذلك الصباح الأول الذي لحقها فيه إلى هناك. يومها اتخذت أودرا وضعية جانبية بالنسبة إليه، وكانت عيناها مغمضتين وقلبها منفتح لاحتمالات عدّة. لقد التقط سيث صورة لها والدموع تندفع بسرعة على خديّها.

أما هذا الصباح، فبدا وجه سيث هو المبلل بالدموع.

همس سيث: «سامحيني!».

لفّت أودرا ذراعها حول خصره وأراحت رأسها على كتفه.

همست بعدئذٍ: «لقد سامحوك منذ وقت طويل».

وبكى سيث...

أتى سيث إلى ترليوم ليأخذ بالثأر... أتت أودرا إلى الدّيار لإعادة بناء حياتها وإصلاح الأمور. في حضني بعضهما، وجد كلٌّ من سيث وأودرا الخلاص.

الخاتمة

مضى شهران قبل أن يرسلَ سيث لِديك ويلينغ شيئاً من عمله. احتاج إلى الحصول على الصورة المثالية، تلك التي ستخبر القصة بأكملها... وأخيراً حصل عليها.

في ذلك النهار بالضبط، حين وقف سيث وأودرا على الشاطىء والأشجار الخضراء الكثيفة تبدو خلفهما، سحب سيث علبة ذات غطاء مخملي من جيبه، وقدّمها للمرأة التي أنقذ حياتها مرّةً... المرأة التي أنقذته في المقابل.

ثلاث رجال آخرين طلبوا يد أودرا للزواج. ثلاث رجال آخرين أعطوا أودرا أسماء عائلاتهم وخواتم الزواج. بالرغم من ذلك، ليس هناك مَنْ طلب منها أن تشاركه حقاً حياته... لكن هذا ما فعله سيث! أراد أن يتشاركا معاً الحياة كذلك: في السرّاء والضرّاء وكل ما بينهما.

ركع سيث أمام أودرا على الرمل البارد، وتعهَّد لها بحبّه، ثم تعهد لها بأن يعتني بالقلب الذي سحقه بكذبه.

كلاهما يعرف أنهما ليسا شخصين مثاليين، لكنهما كانا مثاليين لبعضهما. واليوم ها هما يبدآن الحياة من جديد، كل على حِدة وكزوجين أيضاً.

حدّد سيث التوقيت على آلة تصويره، ثم ركض إلى حيث تقف أودرا، مدخلاً الخاتم في إصبعها، مسجلاً تغيّرهما.

* * *

www.elromancia.com

الآن، بينما كانت أودرا تحوم حول سيث وهو جالس خلف الكومبيوتر، يرفق الصورة بالبريد الالكتروني الذي كان يحضّره ليرسله لِديك ويلينغ، سألها مرة أخرى: «هل أنت متأكدة من أنك لا تمانعين؟ ليس عليّ إرسال الصورة. ليس عليّ إرسال شيء إلى ويلينغ».

أجابت أودرا: «أنا موافقة».

وأكملت: «قال لكَ إنه مستمر في صياغة الكتاب، وإن صوري ستظهر فيه. فلتظهر هذه أيضاً لأنها ستكمل القصة».

- إذاً، إليك هذا!

أخذ سيث نفساً عميقاً ونقر: أرسل.

بعد ساعة من الوقت رنَّ هاتف سيث، فأطلق شتيمة بسبب المقاطعة.

همهم غاضباً وهو يبتعد عن أودرا التي كانت تجلس إلى جانبه على الأرجوحة المعلقة بين شجرتين على الشاطىء، وقال: «توقيت لعين لأحدهم».

- مرحباً!

تكلّم الرجل الآخر بحدّة، من دون أن يكلّف نفسه عناء التلفظ بأي من عبارات المجاملة: «هذا ويلينغ. ما هذا بحق الجحيم؟».

ابتسم سيث قليلاً بالرغم من ذلك.

- أجل، ديك. تلقيتَ بريدي الإلكتروني على ما أظن.

- تلقيت بريداً إلكترونياً من شخص يدعى سيث ريدلي وحين فتحت المُلحق، كل ما وجدته هو صورة واحدة.

غمز سيث أودرا.

- أجل! ما رأيك بالصورة؟

اعتبرها سيث أحد أفضل أعماله. في تلك الصورة، كان سيث وأودرا يبتسمان لبعضهما، وهما يقفان على الشاطىء مع مجموعة من طيور النورس، فيما بدت عدة مراكب شراعية في الأفق خلفهما. كان سيث يُدخل خاتماً في إصبع أودرا، والماس يلمع تحت أشعة الشمس،

وكأنهما يستحمان بالضوء الذهبي لنهار جديد من نوعه.

زمجر ويلينغ: «ما رأيي؟ أظن أنني أريد رؤية ما تبقى لديك».

أجابه سيث: «أنا آسف. لن أرسل غيرها».

ابتسم سيث إلى المرأة بين ذراعيه، المرأة التي أحبّها من دون تحفّظ أو شرط. كانت أودرا تبتسم له في المقابل، وعرف سيث أنها تحبّه من دون تحفظ أو شرط أيضاً. أضاف: «تلك الصورة تخبر القصة كلّها».

جاء صوت الرجل الآخر عبر الهاتف: «سميثفلد! سميثفلد!».

انتزعت أودرا الهاتف من يد سيث، ووضعته على أذنها قائلة: «سميثفلد؟ آسفة، لا أحَد هنا يدعى سكوت سميثفلد».

بعد أن أقفلت أودرا الهاتف بخفّة، قذفته إلى الرِّمال، واقتربت من سيث.

- والآن، أين كُنّا؟